

المقنن

الجن

عند غير العرب من امم الشرق والغرب

طالعنا في مجلة « المقنن » الغراء ما حاكت بروده وطرزت بنوده براعة صديقتنا الابر الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي بتيمة اعلام دمهشق عن اعتقاد العرب في الجن وما ورد في اسفار الدين واشعار التابعين واقاصيص السلف من الاحكام والنوادر والآثار الحاككة عنهم الآتية على وصفهم واحوالهم فراقنا منها حسن الثوب ودقة النقل وبراعة اللهجة ووضوح المنهاج وسعة الاستيعاب الى غير ذلك مما لا يستكثر في جانب ما هو مشهود من فضل الشيخ اعز الله وحدانا الاعجاب بما هنالك الى تحجير مقالة موجزة تكون لها كالكلمة تأتي على ما عند غير العرب من امم الشرق والغرب من امثال هذا الاعتقاد . وهو موضوع بكر لم يسور جداره فيما نظن مفترع قبل ولم يح حول له فلم شرقي على ما اتصلت اليه مطالعاتنا حتى اليوم

ولقد بذلنا جهد المستطيع تنقيباً عن مواده المستترة في ثنايا الصحف والمبعثرة في زوايا المطولات وتخيراً للاصح من المصادر والاصدق من الروايات فجاءت مقالتنا — على ما نعهده بذاتنا من الضعف — طرفة يرغب فيها وامنية يسعى اليها وما احراها ان تكون مع رسالة الشيخ سفرًا مستقلاً يرجع اليه عشاق الدراسة والاستبصار من ناشئة الوطن وادبائه فان اتيتم على هذه البغية كتم من المحسنين

تمهيد

كثير عداد من يزعمون ان العرب هم المتفردون دون سائر الناس في الاعتقاد بالجن اعتقاداً دينياً سنداً الى ما ورد في كتابهم الموحى من صريح النصوص القائلة بوجودهم — كما

في سورة الرحمن والاحقاف والجن — وتوارثا لما جاء في اقصيص الجاهلية مما دونه الثقات
واثبتته المؤرخون واتي على يانه الشيخ بحيث لم يبق مجالاً لتفصيل وتعليل . وفي ذلك الزعم
من الخطأ والوهم مالا يحتاج الى دليل فانك لو رجعت الى كتب الامم القديمة من كل بيئة
وجنس ومذهب لرأيت في تضاعفها ما يؤيد كون الاعتقاد بالجن كان منتشرًا بين
البشر مستفيضًا في كل قبيلة وفصيلة وشعب من اهل بهم المعمور من الارض شرقًا وغربًا
شمالًا وجنوبًا بادية وحضرًا لا يستثنى منه قوم ولا تهرأ منه أمة ولكن علي تبين في الآراء
واختلاف ببعض الفروع

فالظاهر ان الاعتراف بوجود ارواح يتوقع شرها كالاترار بوجود آلهة يرحى خيرها
انما هو من مقتضيات هذا الكيان الانساني لا محيد عنه لكل ذي لسان ناطق يرشده
العقل الى انه من اهل الخلود وانه ضيفٌ محتازٌ في حكم هذا الوجود والا فبال الام
على تباعد انحائها واختلاف آرائها وتغاير مذاهبها وتناقض مشاربها تجمع على هذا الامر
اجماعًا باتا كان افرادها متواطون عليه — منذ كانوا في عالم الغيب — فكلهم يقول بالله
يثيب وشيطان يكيد وجن تخيف ونفس بين ذلك تنازعها عوامل اليأس والرجاء
ويبدو لها انها بنت البقاء دون سائر ذوات الارواح التي ثقلها الغبرا وتظللها السماء وينعشها
الهواء وان كانت محاطة مثلهن باسباب الزوال محكومًا على هيولها المركب بالانحلال
وشخصها المتحركة بالجلود ثم الفناء

على هذا نشأت الناس وعلى هذا اجتاز عالمهم برزخي الحيوة والموت الوفا مؤلفة من
السنين قال بعضهم انها عشرات الوف وقال آخرون انها ملايين حتى جاءنا الطبيعيون
من متفلسفي هذا العصر — عصر الاكتشاف والاختراع — يجلسون على منصات
القاهرة والاساطين ويشدون مع ابي نواس شاعر العباسيين

ما جاءنا احد يخبر انه في جنة من مات او في نار

ويقولون مع ابي العلاء .

ومهما عشت في دنياك هذي فما تخليك من قر وشمس

تطحننا الابام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعادله سبك

وانه لاشيء في هذا الكون غير هذه المادة التي يتماورها التركيب والتحليل ويتداولها
الدور والتثليل — مع بقاء في الكم وتغيير في الكيف — وان القول بما وراء المادة

من قوة تدبير الحركات هي علة الموجودات منها استمد الناس ارواحاً سرمدية انما هو من
اوهام الواهمين وتخليط الجاهلين فما نحن وسائر من يتحرك بالارادة الامن ماء وطنين
ولا يحيينا ويميتنا الا الدهر !!

فاين هذا من ذاك ؟ وما هذا الانقلاب العجيب والانعكاس الغريب ؟ واية متفعة
من قول جعل العامة من الناس — وهم تدعى اشرارهم بل يزيدون — في اودية من الحيرة
يهيمون وفي ظلمات من التردد والشك يخطون لا يرون لانفسهم مما القوم في مهاويهم
مخرجاً ولا هم يهتدون .

رويدك ايها العصر عصر الحضارة والنور . وتلى رسلكم يامعشر العلماء . ارباب
الحصافة والدكا . وحناتيكم يا من اكلوا من التعمق والتبحر . واسترسلوا في الاستقراء
والاستنتاج . وبحثوا في الجراثيم والذرات . وتكلموا عن الحويصلات والنقاعيات .
وبرهنوا على كون السديم اصل الكائنات . والانسان سليل نوع من القرود او ما يشابهها
من ذوات الفقرات . ورحمكم يا صحاب « دارون » واولياء « سبنسر » واشياع « بنجر »
وتلامذة « هكل » وان كان فيكم فيلسوف « كفرشيا » وحكيم « وادي الفريكة »
ومتهموسو « وادي النيل »^(١) « انا ايم الله لسنا من يقف في سبيلكم فيما تدعون اسرارهم
من الاحكام والنواميس وتحاولون اجلاء من الغوامض والمشكلات اخذاً عما تلقينه
عليكم الطبيعة أمكم وأمننا من الدروس والامثولات طبق ما تبعثكم اليه ميولكم واهواؤكم .
ولكن لنا كلمة نقولها الآن لكم جهراً بعد اذ كنا ننداؤها بيننا همساً ونهجس بها سرّاً فان
اصحتم اليها سمعاً واستوعبتم لها قلوباً وجريتم بمقتضاها بعد اليوم عددناكم كراماً وقلنا
سلاماً والا فما على من استحكت الابو خاندرياً في معدة واستولت السوداء على دماغه
من سبيل

ليس من ينكر ان المصلح العاقل من هدى بعلمه لامن اضل . ومن اراح لامن اتعب
فياحبذا — يا اصحابنا — الجهالة انها خير من هذه المعرفة الناقصة التي تعجلتم بها الى
نقض الاديان وتلويض اركان العقائد وتمتين دعائم التعليل والوجود قبل ان تنضج
آراؤكم وتجمعوا على ما اليه ترمون وعليه تنهاتون من بث بذور الكفر في القلوب وتعدكم
للطبيعة التي اصبحتم لكثرة دراستكم لها مناولكم علومها اعطى بها من جنود بونايرت بمدافعهم

(١) راجع رسالة « تعليم الامة » المثبتة في الجزء الرابع من مقتطف هذا العام وذيلها

اولئك الذين كانوا اكثر اصرارهم لها وتهوسهم باستعمالها والاحتفاظ بها يسعون بها
باحب الاسماء اليهم ويعاقبونها ويقبلونها كأنها من الغايات الفاتتات وكذلك انتم الآن
فان توفركم على تلك الدراسة وانصرفكم الى استيعاب دقائق الهيولي مستحكين الصامت من
قواها وعناصرها غير منفكين عن مناجاتها ومباغمتها آتاء الليل اطراف النهار قد استهويكم
واستدرجا بكم الى تأليه هذه المادة الجامدة حتى صرتم تحسبونها كل شيء وليس وراءها
شيء اقبلها شيء بحيث لو امكنكم ان تحذفوا منذ الآن من كل معارج الارض ماحوته من
الالفاظ الدالة على الخلق والابداع والعمدية والقدرة والبعث والخلود لفعلتم

فيا اسفا على الهمجية اذا كان مأناكم هذا من نتاج المدنية وباحسرة على الجهالة
ان كان ذلك من مستلزمات العلم . افتركون الفأ وشتاتة مليون من الناس حائرين باثرين
لا يدرون بهم يعتقدون واية وجهة يتفخون فلا رأيكم تثبتون ولا عن قولكم ترجعون ؟؟؟
تالله اننا معكم لفي صفة مغبون وما انتم الا غادرون والا فما هذا التفري الذي يجعل كلاً
من افراد هذا المجتمع القومي يحيا بلا ضمير يسرق مستتراً وبثلب مخفياً ويقتل متوارياً
وينتحر قانطاً وما عليه من وجدانه قيم ولا من دينه زاجر ولا سيف الآخرة على زعمه
من تكبير !!!

لعمرك ان العامي الذي لا يتوقع في الآخرة عن عمله حساباً ولا يرجو عن حسناته
ثواباً ولا يخشى مهما تعددت سيئاته وتعاضمت كبائره عقاباً الا اذا كانت مشهودة من
الانام مثبتة لدى الحكام ثم يحسب ذاته في هذه الحيوة الدنيا كالتبات الفطري حتى اذا
مات لم يعد شيئاً مذكوراً . لا يلبث ان يكون لعة على الارض وسخطاً من السماء لا يخل
بالخطور والمباح ولا يبال بالحلال والحرام بل يقضم الاخضر واليابس ويحتاج العامر
والغامر وهو يقول « على الدنيا السلام »

فالعلم الحر يص على منفعة بني نوعه الدائب على خير قومه وبلاده من اشتغل بما يريد
من انواع العلوم ما يشاء على ما يشاء وان يعتقد انفسه بنفسه ما احب كيفما يحب لكن على
شريطة ان ينشط لثنتين اوتاد العقائد وتأليف شوارد المذاهب مع تنزيها عما لحقها
من الزوائد ولصق ببعضها من الخرافات ناركا للجاهل وازعاً من دينه يجنبه الموبقات
ورادعاً من ضميره بتكبه المنكرات وما ضر العاقل ان يكون ذا دين مثله مادام الدين
لا يكلفه الشغل ولا يعنته بكثرة التكاليف وقد اباحه من طريق الحلال كل ما منعه

عن طريق الحرام فلا يقفل في وجوه ملاذذ وامانيه الابواب ولا يطالبه باكثر مما يتقاضاه العقل ويرضى به الصواب

ان صح قولكما فليست بخاسر او صح قولي فالوبال عليكما
 او على الأقل يترك الاديان وشأنها والعقائد وحظها يتحارسها زعماءؤها ويصونها اثمتها
 وعلاؤها — فلا يتعرض لها ولم في اقواله ومنشوراته بما يبعث باليقين ويولد الشكوك
 ويبعث على الحيرة او المروق من نزغات ومعاريض وثرهات وادلة وبراهين واقاصيص
 لا قوام لها حتى اليوم الا النزق والسفسطة ولا ركن الا الخيال والهوس يراد بها التفرد
 بالشبهة فيما يخالف ما اجمع عليه الناس وان كان حقاً وتواطأت على وجوبه العقول وان
 كان صحيحاً غير مفكر بما يتجم عن اضاليه وسفاسفه من تشويش النظام وضياح الاحكام
 وانتشار القوضى والعود بالعالم الانساني الى الزمن الذي كان فيه آباؤنا يضارعون برابرة
 الاوقيانوس الهندي واواسط افريقية حالاً وقالاً وخلقاً واوضاعاً متصيداً باحاييله
 الابليسية وبهتانه المزخرف مافي حقايب بعض من أوتوا مالا ولم يرزقوا عقلاً من دينار
 مكتوز ثم ينقعه على تمثيل اسفار ورسائل يطبع منها الآلاف من النسخ ثم توزع على الناس
 — ولا سيما الناشئة الادبية منهم — مجاناً قصد اشراب قلوبهم تلك المبادي الفاسدة
 وايداع نفوسهم تلك الحماقات السخيفة الناس للشبهة على ما ألمعنا من طرق التعميم
 في الاذاعة والتوسع في الابلاغ كما فعل بعض هؤلاء المفتونين — بحج الطبيعة —
 هذه الايام ففعلت نفثاته السامة في ادمغة البعض مالا يتوقع العاقل بعده الا قيام دولة
 الشهوات وانتلال عروش الآداب وتقويض اركان الديانات وانتشار الاباحية والعدمية
 الى غير ذلك من يواعث الهلكة والانقراض والبوار لولا ان يأبى الله الا ان يعيد كيده
 الى شوره بان قيض له من اهل التبصرة والاعتبار والعلم الصحيح من يكشف عن بصائر
 اهل الغرور بما يريهم عياناً زيف درهمه وزغل ديناره فان الحق ابلج وضاح . والباطل
 لجلج فضاح وان كره الماكرون

بقول المتعنتون من هؤلاء الملاحدة المتخذلين — سنداً على ما سجله التاريخ من انباء
 حروب وقتن واضطهادات^(١) كانت منشأها الظاهري التباين في المذاهب
 والاختلاف في الدين

(١) يريدون بذلك مناوآت القباصرة الرومانيين للدين المسيحي في بدء ظهوره
 وحروب الاصلاح في اوروبا والحروب الصليبية في آسيا وافريقية وقتن الخ لافاة في

ان الديانات ألفت بيننا إحنا وعلمتنا أفانين العداوات

فالدين أذن عدو النظام لانصيره بغيض السلام لاظهره !!!

نحن لانكر ان كثيراً من المشاغبات والفتن والثورات والحروب والغارات^{١١} أثرت
باسم الدين وثبت على حساب الدين ولكن من سبر غور الحقيقة بمسبار النزاهة والاخلاص
وتوفرت له سلامة الذوق وصحة الاستنتاج واصالة الرأي وعدالة الحكم علم — بعد
الاستقراء — علم اليقين ان الدين لم يكن المصدر الحقيقي لتلك الموبقات بل الباعث عليها
في الاصل والمؤدي اليها بالفعل — ماخلأ الشاذ — انما هو شهوات الملوك ولبانات اولي
الحكومات وزنوات ارباب السلطات والزعامات الدين من دأبهم — ولا سيما في تلك
العصور المظلمات — — التذرع بآية وسيلة كانت — حتى التغاير الديني او المذهبي — لاثارة
الفتن واصلاء الحروب ارادة ان يثبأ لهم من جرائمها تمتين السلطة والتوسع في البسطة
والاستنفال في الملك تلبية لدواعي اطباعهم اللانهاية واشباعاً لنهماتهم اميالم النفسانية
فالمره لانتفضي آرابه ابدأ اذا انتفضي ارب يصبو الى ارب

ومن ذا الذي يتجرأ ان يقول ان ماينشأ عن سوء استعمال الدين انما هو الدين ???
لاجرم ان للحروب والفتن اسباباً جمّة قد يكون سوء استعمال الدين او التذرع
بالدين احداها وقد لا يكون وما ارباب السيادة من خدمة الدين وغيرهم الا بشر مثلنا
قد يسيثون في اورهم المعاشية وسياساتهم الادارية وقد يحسنون : فباثنا نلصق
بالدين — الذي هو من الله — ماينجم باسمه وعلى حسابه من مساوي الناس ؟
أفلا تفقهون !!

أجل : ان مطامع اصحاب العروش وتخالف العناصر وتباين الاجناس وطموح الامم
التي توفرت لها القوّة الى التلب على المستضعفين وزروعها الى التكاثر والاستزادة
سواء كان عن طريق الفتوح او الاستعمار او الدين هي هي لعمر الحق — في كل آن
وزمان — مصدر الفتن ومبعث الاحن وعلة العدوان ومنشأ الحروب التي مايرحت
مرافقة حيوة بني الانسان منذ اصبحوا دولاً واما جماعات حتى الآن وهي لاتبرح ولن
تبرح ملازمة لهم — ولكن على تباين بانكم والكيف — عملاً بناموس تنازع البقاء الى
صدر الاسلام ومذبة القديس برتلاوس في فرنسا والتفتيش الديني في اسبانيا وناهضة
مكرري تكريم الايقونات في الشرق والغرب الى غير ذلك من الفتن والحروب التي
نثبت اولاً واخيراً باسم العقائد والبدع والمذاهب والدين

منتهى الدوران . ومن ماراني في ذلك تائه من اقوال قهارة التاريخ واقطاب العمران
وفلاسفة طبائع البشر بما شاء من دليل وحجة وبرهان .

لتسلم جدلاً — ولو بالباطل — ان في عصور العصب والغباوة والجهل كانت الديانات
جرثومة العداوات وارومة الحروب والثورات ولولاها كان الناس في نعيم مقيم وأمن
مكين !! لا بأس عليهم ولا هم يحزنون !!!

ثم تعالوا بنا الى هذا العصر الحديث عصر التساهل والكياسة والعلم عصر الحضارة
والتمدن والنور عصر الحرية والمساواة والاخاء ولتقف مسائلين هل خلت أمم
الاعرق حضارة والاخلى في المدنية كعباً من فتن تثار وحروب تضيء واطماع تسود
وشرور تنفأ ؟؟

ام هل من علاقة للاديان بحرب يروصيا مع النما (سنة ١٨٦٦) او حرب المانيا
مع فرنسا (سنة ١٨٧٠) او حرب الانكليز مع الترنسفال واليابان مع الصين وروصيا
مع اليابان والبغار مع الصرب في خواتم القرن التاسع عشر وفواتح القرن
العشرين ؟؟ كلا ثم كلا

فليصمت اذن اولئك الذين يتلظفون بتلك السفاسف والترهات تغريراً بالسذج
وتقويها على الاغبياء ولجعلوا ان الاعتقاد بمبدع حكيم يحزي ويثيب مع الاحتفاظ
بتاعدة « من دينك واحترم دين سواك » هو عماد السلام وركن التهذيب ومصدر
الآداب ومظهر الوثام والتهاب : فكيف لا يتي الله اولو الالباب !!!

أجل ان في تسود العقائد المبينة على التنزيل والوحي وسلامتها من الشوائب والحشو
وتنزهاها عن الخرافات واللغو وترفع اوليائها عن التشيع الشائن والنصب الضار والتعامل
الذميم يستتب النظام ويسود السلام وتسعد الانام لا بقول المعري

أأترك هاهنا الصبياء عمداً لما وعدوه من عسل وخمر

فموت ثم بعث ثم حشر حديث خرافة يام عمر و

او قوله : اثنان اهل الارض ذو عقل يلا دين وآخر دين لا عقل له

فان هذا الفيلسوف الشاعر الفريزر رهن الحبسين — حبس العبي وحبس البيت — بعد
ان اوحى اليه خياله الواسع ما اوحى فباح بما هذر وجاهر بانه كفر مطاوعة لما يستولي على
امثاله من اعراض السوداء عاد اليه بعض رشده فاستحوذ عليه الشك وخامره التردد
والريب فقال متوجساً لعقابه حاسباً حساب أخرا

في القدس قامت ضجة ما بين احمد والمسيح

هذا بناقوس بدق — وذا بماذنة يصيح

كل يؤيد دينه ياليت شعري ما الصحيح

ثم لم يمت الا على دين آباءه كما حقق الثقاة من معاصريه خلافاً لمن يتخذون اقواله حجة يؤيدون بها مذاهب التعطيل ويذيعونها بين الناطقين بالضاد مدام الله

ذلك ما رأينا اثباته استطراداً في هذا التمهيد كبحاً لجماح من ملأوا الدنيا زبائلاً تشيعاً لاصحاب تلك الاضاليل ممن يتوهمون السراب شراباً والحبة قبة وما هوون ما تخدعهم الزخارف والاباطيل ان ربك لبالمرصاد وهيئات ان يفلح حزب الفساد مادام للصالح فئة من اعلام يعملونهم في الظلمات مشكاة وفي الجاهل والمعاشر هداة وما على منفق جهده من جناح ولا الى تأنيبه من سبيل

« عود على بدء »

قلنا ان الاعتقاد بالجنان قلما خلت منه امة في غير الازمان ومصادقاً لذلك

نقول الآن

ورد في ميثولوجيا الهندوان ارواحاً شريرة اسمها « رقشاشة » ومعنى هذا الاسم الجبارة خلقت قبل الجو والحيوانات وهي ترصد الآجام والمقايرو تلتهم بانارة الموق من اجداثهم والتحرش بهم . تأكل لحوم الاحياء من البشر وتشرب دماءهم وتتخذ لها صوراً مختلفة واشكالاً متباينة ثم هي لاتزال حاضرة عند مقدمة القرايين وذبح الضحايا للآله لكي تقصد على الناس شعائرهم وتغري المعبودات برده تلك القرايين ورذل مقدميها : من اجل ذلك بعدد ما الهند اشد ضرراً على البشر من سائر الجن

وقد ذكر في الكتب السانسكريتية القديمة المحفوظة في هياكل الصين وكوريا وسيلان وسائر امهات المدن المنتشرة في الشرق الاقصى الفاضة باتباع « برهما » و « بوذا » من ذوي الجنس الاصفر ان التساك وخدمة الدين طالما استعجدها القوى العلوية لاجابة من شرور هذا الصنف الغادر من الجن الكثير العدد وهو مع ذلك لايزال يزد غواً وانتشاراً بزيادة عداد من يموتون من الائمة اصحاب الكبر لان ارواح هؤلاء تكون الى زمن من نوع « الرقشاشة » واشهر هذه الفئة الباغية المنقسمة الى فرق ومراتب انما هي « رافانا »

وليتك تدري ما « رافانا » انما هي روح شريرة زائدة الفحة والجرأة كثير المطامع والشهوات

حتى انه زين له في بعض الازمنة ان يخضع الارض ومن عليها والهاوية ومن فيها والسموات ومن فوقها الى حكمه وسلطانه ويجعل الكيان المطلق عبداً خادماً لرغائبه وما ربه ونزعاته فتدادى جوراً وعسفاً وزاد بغياً وطغياً حتى أتت من حيف، الارض وشكت ظلم الافلاك واستولى الرعب على قلوب المعبودات في اخدارها والملك في عروشهم وكان موطن هذا الجني الخبيث في ذلك الزمان « لافكا » عاصمة جزيرة سيلان

فساء « وشنو »^(١) العظيم هذا الامر الجلل ورأى ان يتجسد ثانية لينقذ الاكوان ومعبوداتها من شر هذا الطاغية ويرد الى المخلوقات طمأنينتها وسلامها فتجسد في الجهة المقابلة من الهند في صورة « راماشندرا بن داسرتاملك ابوذيا من امرأته كساليا »

(١) ان وشنو هذا تجسد على زعمهم ثلاث مرات : الاولى اراد بها تخليص البراهمة من جور الكشترية اي اهل السيادة والحرب من الهنود الذين صاروا يعطلون الشعائر الدينية ويمتهنون خدمة الدين « البراهمة » فتجسد في مظهر ابن ناسك متعبد اسمه « جامادغني » ثم سمي « باراسوراما » ومعناه راما ذو الفأس نجح في آثار الكشترية حتى اباد ذكورهم ولكنه استحميا اناتهم ليتزوجن البراهمة فيجاء بهن نسل الحريين : الثانية هي التي تكلمنا عنها في المتن والمقصود منها انفاذ المعبودات من جور « رافانا » كما علمت وكان اسمه اذ ذلك « تشندرا » ومعناه القمر : الثالثة وغاية، منها ادخال الفنون الزراعية الى البلاد وقد سمي بها « راما » واتخذ رايته المحراث وبعد ان علم الاهلين اصول الفلاحة عرج مع امرأته « ستيا » الى السماء . ويقال ان راما هذا هو نفس « باخوس » عند اليونان و « رعما » المذكور في سفر التكوين بين مواليد « كوش » و يزعم بعض علماء الانكليز ان « راما » في تجسدهاته الثلاثة ان هو الا شخص واحد ظهر في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد وعبر عنه في التوراة باسم « رعما » وان اتحاده مع ملك القروود الوارد في المتن ايماء الى اتفاق، مع سكان الهند الجنوبية المتوحشين على فتح جزيرة سيلان لان اولئك السكان كانوا يسمون زمانئذ القروود وان « رافانا » يراد به طاغية من البشر كان مالكاً جزيرة سيلان وحدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد الهند كافة فعات وسطا حتى سلط عليه « رعما الهندي » فتوالت مع ملك متوحشي الهند على قتله واستخلاص سيلان منه . واخبار « راما » مدونة في قصيدة تشتمل على خمسة وعشرين الف بيت او دوييت تسمى « رامايانا » نظمت باللغة السانسكريتية المقدسة وترجمت مراراً الى اللغة الهندية الحديثة والى بعض لغات اوربا

وبعد ان اتحد مع «سوغربا»^(١) ملك طائفة القروء على الايقاع برافانا مضيا الى الارخبيل الفاصل بين جزيرة ميلان والبر والقباهنالك جسرًا من الصخر اجتازاه الى الجزيرة ثم باثرا القتال مع «رافانا» فلم يثبت الخليث امام المعبود المتجسد وحليفه !!! فـقط بين ايديهما هالكًا غير مأسوف عليه

والرومانيون يقولون انه يوجد عذراء من الجن كانت تقيم في غابة اسمها «اريسيا» على مقربة من رومية عاصمة الرومان وتدعى تلك العذراء «اييجيريا» وان احد ملوكهم «تومابوميلديوس» اتخذها له زوجة فكانت تساعد على قهر الام المتوحشة وادخالها في ربة الطاعة له والانضواء الى عرشه وتشاركه في حل ما اعضل عليه من المشكلات . فلما مات زوجها جرعت عليه اشد الجزع ولجأت الى تلك الغابة معتزلة حيث كانت تجلس في حضيض جبل ذارفة دموعًا سخية بلا انقطاع فاحزن حالها «ديانا» الهة الصيد فرأت ان تحولها الى عين ماء نضاجة لا ينضب ينبوعها فسميت عندئذ «عذراء العيون» وشيد بجوارها مياكل للعبادة كانت النساء الرومانيات يقصدنها بنذورهن الثمينة في مواسم معلومة مخففات لها اعيادًا يحتفلن بها احتفالًا كبيرًا لأنها كانت تحفظن عند الولادات وتصون مواليدهن من سائر الجن . ولمدينة رومية جني خاص اقام له قدماء الرومانيين تمثالاً من ذهب

والجرمانيون ومنهم البروسيون وسائر الالمان وكثيرون من التابعين للعرش النمساوي يزعمون ان ليلاه جنتًا يطلق عليها اسم «اليفنة» ويدعوها الانكليز «مرميده» واهل شمالي اوروبا «نكسن»

قال سكان سواحل البلطيك انها تظهر على شكل الخيل على مقربة من ثغور البحار وتداعب من يخرجون في القمراء للزهوة والسمر في تلك الشواطئ وكثيرًا ما اخافتهم . اما الالمانيون فيقولون انها تقيم في نهر «البي» وانها اطرف من جن بحر البلطيك وقد تخرج احبائًا من الماء في ليالي الشتاء وتقصد النار التي يتركها رعاة المواشي لتسند في بها . وقد طالما نظرت هنالك بهيمة نساء جميلات مستترات بشبه براقع لهن وجوه زهر وشعور شقر تسترسل على اكتافهن . وقد بعشق بعضهن الرجال فيخلصن الحب لمن كان وفيًا منهم ويساعدنه في ميادين الحرب ويقين شخصه بنفوسهن من سهام العدو ولا تنفك احداهن مولمة بن تهوى مرافقة له ساهرة على مصالحته وراحته متحملة معه

(١) يذهب المتأخرون من العلماء ان هذا هو نفس «بعلوس» المذكور في التوراة

ما يكابده من برحائه وضرائه حتى الموت . ولكن اذا خانها ولو مرة ذهبت به الى شاطئ البحر او ضفة النهر وجذبته بمنتهى قوتها الى اللجة فتجثته غرقاً !!! وهي عني ما يقولون ذات صوت غريد مطرب هو - في زعمهم - مصدر حفيف الغابات وخرير الانهار الذي يونس الحزين وبسلي الغرب وكان القدماء من اهالي اوربا الشمالية اذا ارادوا استالة تلك الجن طرخوا في البحار والانهار ثاراً وازهاراً وذهباً ولؤلؤاً وعطراً وطيباً استعطافاً لها وقد وجدوا سيف بحيرة « تولوز » اشياء كثيرة مما كانت يستعطف بها سكان فرنسا القديمة تلك الجنيات الحسان اللواتي يشبهن في بعض امورهن بنات الماء اللواتي ذكرهن الدميري في كتابه « حيوة الحيوان »

ومن اغرب ما رواه المؤرخون ان « سيبون » الروماني لما فتح مدينة « تولوز » وجد في بحيرتها من الذهب ما وزنه مئة الف « ليبرة » ومن الفضة مثله فاستأثر بها وقد تحقق ان الغالين القدماء اجداد سكان جنوبي فرنسا الآن كانوا يرفعون تلك الجنيات الحسان الى مصاف الآلهة ولذلك اشتد حنق التولوزيين على من خرق حرمة بحيرتهم سالبا حليهن وكوزهن كما فعلنا وربما كان لمن في بلادهم غير الاسماء الثلاثة التي ذكرناها قبل

اما السكندنافيون وهم اهل « اسوج » او السويد و « نروج » و « هولاندة » او الفلمنك و « الدانمارك » فيعتقدون بوجود جن اسمها « الفة » او « الفر » وهي حاذقة لينة ذكية عالة ونفسم عندهم الى فتنين

احداها تعرف بالجن الصالحة ويقال لها جن النار او جن النور تقيم في بلاد الغيم التي يتولاها صاحب الشمس لها وجوه تلمع كالصباح وعيون اجمل من الكواكب وشعر ذهبي يروق مراء للناظرين والثانية تعرف بالجن الهائلة وتسمى عندهم « سفورت الفار » وهي عدوة للنور واشد سواداً من الزفت ذات منظر كره وتقاطيع شنيعة واعضاء مشوهة ولا تسكن الا في باطن الارض

واهل القرون المتوسطة من سكان هذه الممالك السكندنافية كانوا يزعمون ان هذه الجن الارضية تحتطف اطفالاً من اسرتها واذا احبت احداً من اهلها ذهبت به الى موطنها تتلذذ بمداعبه ولا تدع له سبيلاً الى تركها والعود الى بلاده : وهم يوقنون كل اليقين ان ملكتهم خطفت السيد « توماس السيدون » الملقب بالشاعر الى حماها وحجرت عليه

في صرح لها سبع سنين كان فيه تمثال غرامها وكعبة هيامها وهي على مايرثاوت لطيفة المعاني حسنة الطلعة تسج لها اقصه وحللا من نور القمر وتعم بمامة في اعلاها جرس وتحتذي برجليها الكافور بين زجاجاً رقيقاً نقياً شفافاً فاذا عثر انسان عند انفلاق الصبح على حذاء او جرس مما تلبسه تلك الجنيات الرائعات المحاسن ملقى على العشب نال من التي فقدته كل ما يتمناه

وهي تشو غالباً في كهوف الجبال تعيش فيها كسائر الناس وتصرف الوقت بمطالعة الاشعار واناشيد الآلهة وكتب التاريخ وبشطريق الذهب والفضة والاخبار عن مستقبلات الشؤون متخذة لها حلياً من الياقوت والزمرد وكبار اللآلي . ومتى بدت تبشير الربيع تزايد تلك الكهوف والمناور منجولة في جوانب الجبال استنشاقاً للهواء العطر والنسيم البليل . وقد تسلق الاشجار لتعطف منها الازهار والثمار اولت راقب من يمر على مقربة منها حتى اذا اقبل الليل تجتمع في الحنول متماسكات بالايدي كالحلقة التي تولفها نساؤنا ليحلون العروس ثم تأخذ في الرقص والغناء في ضوء القمر . وقد ترعى ماشيتها على ضفاف الانهر ولا تزال تلك حالها حتى يعاودها الشتاء

ومع ان « الافة » غير منظورة فالمولودون ايام الاحاد يمكنهم ان يروها . وهي على نخافتها وجمالها ولطف بنيتها لاسان القوة ما يمكنها من حمل اثقل الصخور واكبرها حجماً ماشية به مسافات طويلة واذا لمست بيتاً هزته وزعزعته من اسسه ولوشاءت لجلت يدها رجلاً وسارت به ركضاً ولا تبالي . وهي تحب غالباً شجر البلسان والزيزفون والحور الرومي فمن احب ان يراها من مواليده يوم الاحد بقصد من تلك الاشجار ما كان منها في سفوح الجبال يجدها تغني على قيثارها العازف تحت رواق ظلها الوارف

وكان لها في بلاد الانكليز وسكوتلاندة ملك ومملكة وكانت جزيرتا « سترن » و « روجن » في بحر البلطيك تحت سلطانهما وقد شوهد هذا الملك يوماً في مركبة يجرها اربعة افراس ويستدلون على تجوله في مملكته المتراامية الاطراف بصهيل الخيل وسواد الماء والضوضاء التي يحدشها اعوانه في طبقات الهواء

واليونانيون القدماء يقولون ان « اغينور » ملك فينيقية تزوج بالجنية « ميلي » فولدت له « اوروبا »^(١) فنشأت ذات جمال فنان وبياض ناصع فشغف بها المشتري وتمثل لها بصورة ثور وتزلف اليها كثيراً حتى ركبه طمعاً بلبن قياده فاسرع وهي على متنه نحو

(١) معناه التعجبة وبها سميت احدى القارات الخمس على مذهب اكثر الجغرافيين

البحر وسبح بها الى جزيرة « كريت » وهناك اتخذها زوجة فاولدها خمسة صبيان وثلاث بنات وكلهم اقموا مدناً وانشأوا قبائل وعلى هذا يكون الكريتيون من سلالة الثيران والجن فلا عجب اذا كانت نيران فتنهم لا تطفأ وحركات ثوراتهم لا تسكن

والروسيون الاقدمون يزعمون ان « الفامبيره » فريق من الجن يسكنون القبور وهم يهيمون ليلاً من المدافن . متفرقين على منازل الاحياء حال نيامهم فيمتصون دماهم .
 يران « الديموفوي » جني البيوت يترأى للنساء حال انفرادهن وان في الانهار عفاريت تدعى « فوريانوي » وفي الغابات ابالة اسمها « الياسنك » والسلافيون يدعون ان للجن الهاً خاصاً يسمونه « وتشرونوبوغ » اى الاله الاسود وللشعر الهاً آخر اسمه « بياليوغ » اى الاله الابيض

واهل جبال « البريني » او « البرانس » يعتقدون ان الجن مقيمة في النجوم التي تغشى ذروات جبالهم وعلى ضفاف الانهار الحافلة بالاشجار ولم فيها افاصيص طويلة وروايات غريبة لا يحتمل المقام سردها واستيفاءها

واهل جزائر « ملدبف » يقولون انه كان يجيئهم في وقت معلوم من ناحية البحر جني كأنه مركب مملوء بالقتاديل فلا ينجون من شره الا باعطائه فتاة بكرة يتركونها له في بيت الاصنام ثم يصبحون فيجدونها مهشوة ميتة فاتفق ان زار مدينتهم رجل صالح بدعى ابو البركات البربري فلما حان زمان مجيئ الجن اخذت النساء يكيكن وينسدين فسلطن عن السبب فقالت له عجوز منهن ان لها بنتاً وحيدة بارعة في الجمال اصابتها القرعة بحسب القاعدة الجارية في المدينة وستكون في الغد ضحية للجن فيقال انا انوب عنها ثم ذهب الى بيت الاصنام متخفياً واخذ يتلو القرآن العزيز فلما سمع الجن تلاوته غاص في البحر ولم يعد بعد

قال ابن بطوطة في رحلته ان هذه الحادثة كانت سبباً لدخول اهالي تلك الجزائر في الاسلام وهي يد كبرى تعد لابي البركات المشهور بصلاحه على اولئك الوثنيين واليونانيون يثبتون ان عذارى من الجن اعتنيت بتربية « جو بتير » وهو طفل فاهدى اليهن قرن الخصب وهو احد قرني العنزة التي رضع لبنها عندهن

وهم يسمون الجن الى ثلث رتب يرفعون الاولى منها الى مقام المعبودات وجدها الاعلى عندهم « اجنيوس » بالاسان الروماني القديم وهو شخص « زفس » او « جو بتير » وهي تنقسم الى ثلث اقبائل منها « البانة » و « الفونة » و « والسائيرة » و « النيفة »

والرتبة الثانية نوابغ كل شعب وكل مدينة وكل محلة وهم يعتقدون ان موالي هذه
الرتبة يولدون ويموتون كسائر الاحياء غير ان حياتهم تستغرق الوفا من السنين
والرتبة الثالثة نوابغ كل شخص بمفرده وهم الذين يتولون امور الافراد ويؤثرون
في جميع احوالهم من معاشهم وعواطفهم وحوادثهم وامراضهم . وللنساء نوابغ خاصة
يسمونهن « جونون »

قال « سرفيوس » متى ولد الانسان يسخر له تابعان من الجن احدهما يرشده الى
ما به الخير والآخر يميل به الى طرق الشر

وقال « ابوليوس » ان النفس البشرية ذاتها تقول بعد نجاتها بالموت من هبولاها
الى الجن فان كانت حيوة صاحبها سالحة دخلت في عداد الجن الايسر وبقيت في البيت
لحماية ساكنيه وان كانت شريرة سميت « لارفة » اي عفريتاً او جنياً خبيثاً فلا تستقر
في مكان واحد ويكون دأبها الاخافة والتهويل والقآء الرعب بين البشر والوسوسة
والنزغ في الصدور امالة باربائها الى الاضرار والافساد وارتكاب المنكر

وقال « خريسيوس » عن امثال هذه الارواح الشريرة انها تائهة في جوانب المعمور
تستخدمها الالهة للاقتصاص من الائمة الظالمين وللتزيين الشر في اعين الصلحاء المتقين
وهي اصناف منها « لارفة » و « مائة » و « ليورة » ويراد بها كلها ارواح الموتى الانرار
وقد وجد على ابنية القبور عدة تماثيل ورسوم محفورة تشخص بها تلك الارواح
بهية الجن

وكانوا يزعمون ان في وسعها اسعاد من تحميمهم ولذلك قال احد العرافين لانتونيوس
— عاشق كليوباترا المشهور واحد قواد اسكندر الكبير ومقتسى ملكه — ان تابعه يخشى
بأس تابع اوغسطس فيصر فهو لا يجرأ على الاضرار باوغسطس مادام تابعه يحميمه
ويدود عن حوضه

وكان اليونان والرومان عن بكرة ابيهم يقدمون في اعياد مواليهم نذوراً للصالحين
من تابعيهم زهراً وبخوراً وخمراً يضعونها على ضفاف الجداول وتحت ظلال الاشجار في
الغابات تكرمه وزلني ولو استوفينا كل ماورد عن هاتين الامتين سيفي اعصرهما الخرافية
مما يتعلق بموضوعنا لطلال بنا المطال وضافت عن استيعابه الرسائل يدان فيها ذكرناه
عنهما غنى وكفاية

اما الفرس فيعتقدون انه يحكم العالم روحان متضادان متخاضمان احدهما صالح وهو

«اورمزد» والآخري شرير اسمه «اهرمين» وهذان الروحان في خصام دائم ومن غلبة الواحد على الآخر ينتج تداول الخير والشر والنور والظلام والليل والنهار في كل يوم. وما الجن الا خدمة «اهرمين» وحاشيته وسيأتي يوم يظهر فيه ثلاثة انبياء يقولون جيوش «اهرمين» ويطلقون اعماله فلا يبقى جني على الارض فيعيش الناس في سعادة كاملة وسلام دائم يتكلمون بلسان واحد ويعيشون متحدين على نمط واحد ووقيرة واحدة وهو الآلهة الثلاثة انبياء سيولدون من «نطفة محفوظة في بنبوع ماء صغير لم يهتد الى مكانه بعد»

وهذا الاعتقاد الثنائي مستفيض في الشرق منذ القدم حتى انه يظهر بالتبع والاستقراء التقليدي انه كان على عهد عيلام بن سام بن نوح الذي منه تشعب الفرس وقد سرى الى عدة شعوب ونحل وبدع في القرون الاولى واصبح ركناً بني عليه مذهب «ماني» الموسوس الفارسي كما لا يفترب عن كل مطلع على تاريخ هذه الامة

وقد زعم الفرس ايضا ان للجن مملكة خاصة اسمها عندهم «جنستان» اي بلاد الجن ويقولون انها واقعة في الطرف الغربي من افرقية وقد طالما سماها بعض شعرائهم بارض المردة والقفاريت اما العبرانيون والفيثيون والكلدانيون القدماء فيقولون ان الجن تدخل في البشر فتباليهم بالجنون وهي تسكن الارض وتترأى للناس بهيئات مختلفة حتى انها تتلبس باشكال الحيوانات وتستخدمها السحرة والعرافون للانباء بالغيبات وكشف المستورات وكل هؤلاء الامم يعتقدون كالعرب بالقرينة والتابعة والكمهانة والسحر ومن يرجع الى تواريخهم يجدوها طافحة باخبار واقاصيص تدل على رسوخ هذا الاعتقاد فيهم منذ قرونهم الاولى شأنهم في ذلك شأن سائر الامم الشرقية سواء

اما المصريون فقد كانوا يهبون جني نهر النيل في كل عام عروساً حسناً من فتياتهم استرضاء له واستمداداً لفيضه ويحلمون الحيات والهررة وغيرها آلهة وانصاف آلهة متخذين العجل «آيس» اعظم معبود لهم بناء على كون الزراعة ركن معاشهم وقوام رزقهم في بلادهم فهم يكرمونه ويخصونه بانفضل انواع العبادات ليمد الثيران من سائر بني جنسه بقوة من عنده تكفيهم مؤونة الحرث والفلاحة التي لم يجدوا اليها سبيلاً سيفي تلك الازمنة الا بتسخير البقر

ومع ان الاقدمين منهم كانوا في طليعة غيرهم من الامم علماً ومدنية وتهذيباً كانت عقائدهم الخرافية في غاية السخف وقد زادهم فيها استرسالا اجتياح اليونان ثم الرومان

لبلائهم واستيلاً وُهم عليها رديحاً من الدهر إذ قد اضيف ما عند هؤلاء من مضحكات العقائد ومبكياتها الى ما عندهم منها حتى أصبحت مزيجاً جامعاً ما لم تجعه امة قبل ولا بعد هذا مجمل ماورد متفرقاً في اسفار السلف واساطيرهم — من كل امة ونحلة — يرهاناً على كون الاعتقاد بالارواح الخفية كالجن والعقاريت والمردة انما هو مرافق حيرة البشر في قرونهم الاولى من كل جيل وجنس ومذهب ولكن على انحاء متضاربة ووجوه متبانية واختلاف كثير في وصفها وتكييفها وتعيين قواها وطبائعها وتحديد ماهيتها ومراتب تأثيرها في اعمال الخلق وشؤونهم الى غير ذلك مما لم يقع عليه الاجماع التام بين شعب وشعب وامة وامة

ومما يجب التنبيه اليه انه قام في كل صقع وبين كل قوم رجال افذاذ من ابناء العصور النائرة قائلين بما يقوله اليوم أكثر علماء الغربيين وبعض الشرقيين من ان هذه الارواح — الضارة — لا وجود لها الا في تخيلات الناس واهامهم يبعثهم على تصورها والجزم بوجودها ما يتعاورهم من الاماني والخاوف والانفعالات المتناقضة فيما يعرض لهم من احوال هذه الحيوة الدنيا الكثيرة الكوارث والشجون مضافاً الى ذلك ما بتوارثونه من عقائد الآباء ويتأقلونه خلقاً عن سلف من ترهات وعجائزيات قد اعان على تبنيها في اذهانهم ما سدلله الجهل على بصائرهم من كثيف الحجب في اعصر الظلمات ولا سيما اثناء القرون الوسطى التي استحكمت فيها المنازعات الدينية والاحن المذهبية — مسببة عن اطاع الملوك — حتى البست الارض ارجواناً من الدم

فما بدأ يتفجر في افق العالم الغربي نور العلم الصحيح المبني على التثبت والاستقراء الحسي حتى اخذ يتقلص في تلك الاصقاع نلل الاعتقاد بوجود ارواح تتأثر بتي الانسان متداخلة في امورهم ومصائرهم فاعلة في شواغهم وهواجهم ضاغطة على حركاتهم وسكناتهم في معاشهم وموتهم فكان ذلك في اواسط القرن الثامن عشر حتى اذا اشرف على القرن العشرين من نافذة الدهر تلاشى او كاد مذهب من يرى ان في العالم المحجوب قوة تناوي ارادة الله وتناهض عباده كما يزعم الثنائيون من الامم ومعظم المتدينين من الفلاسفة والمفكرين في ايامنا هذه يذهبون الى انه قبل انقضاء هذا القرن قد لا يبقى على وجه البسيطة من يصدق بوجود فاعل فوق الطبيعة غير الحق عز وجل وهو سبحانه اعلم بما يتخرون

دمشق

«سليم غنغوري»



حمة^(١) أبي رباح

لم يكتب أحد من المتقدمين من علماء العرب وغيرهم في تاريخ هذه الحمة أو موقعها أو وصفها وصفاً كلياً مع ما لها من المكانة في التاريخ والطبيعة كما أنه ليس للباحثين المتأخرين من الغربيين والسوربين مقال في هذا الباب يرجع إليه أو شرح يستند عليه ولقد كان يودي أن أقف على كلمة من هذا القبيل لتكون لي دليلاً في سبيل ما أريد تسطيره وحجة تؤيد ما أعلمه في هذا الموضوع وأروم تحجيره إلا أنني لم أجد كتاباً يذكر ما أردت ويبي^٢ بما رمت فما وسعني إلا أن أعود إلى ما أعلمه عن هذه الحمة بالاختبار مجدداً في تطبيقه على الفن الحديث ومستنداً على تاريخه بما عثرت عليه فيها من الإثنية والآثار القديمة بقدر الامكان .

مركزها الجغرافي — أبو رباح جبل من كورة حمص من عمل ناحية القريتين يبعد عن الأولى أربعين ميلاً إلى جهة الشرق وعن الثانية تسعة أميال إلى الشمال الغربي يشرف على ضيعة يقال لها الغنتر من أملاك عبد المجيد آغا سويدان مدير ناحية حسيه (أيكي قبولي) الحالي ورئيس أسرة سويدان المعروفة ويمجده من الشمال أراضي (الشومرية) وهي جبال قل^٣ فيها المنبسطة ذات تربة جيدة وأرض خصبة منبثة وفيها بعض القرى المستعدة وكانت من أملاك السلطان السابق ويسمونها الآن (الأملاك المدورة) ومن شمالها أيضاً البلعاس وهي كورة من كور حمص^(٤) فيها خرج من شجر البطم يبلغ طوله تسعين ميلاً من الغرب إلى الشرق ويمجده من الشرق طريق القوافل بين الشام وتدمر ثم الجبابة وهي مزرعة لنا ذات مياه وقد أوقع سيف الدولة فيها بقبائل البادية وذكرها المتنبي بقصيدة يمدح بها المشار إليه حيث قال :

ومروا بالجبابة يضم فيها كلاً الجيشين من تقع أزار^(٥)

ومن الجنوب الغنتر والجبابة المار ذكرها ومن الغرب الشومرية والفرقلس وهي قرية من الأملاك المدورة ذكرها ياقوت الحموي فقال إنها اسم مياه قرب سلية بالشام والأصح أنها أقرب إلى حمص من سلية .

(١) الحمة سيف اللغة العين الحارة التي يستشفى بها الأعلاء والمرضى فاهل القرى المجاورة لهذا المكان يسمونه الحمة واهل المدن كدمشق وحمص وحماة وغيرها يسمونها حمام أبي رباح وأبو رباح اسم مستحدث على ما اظن (٢) معجم البلدان (٣) معجم البلدان

مر كرها الطبيعي — ان هذا الجبل يركن لاثائر ولا منطفي لانهم لو كان ثائراً لاهلك
 القرى والبلدان المجاورة له وقضى على الارواح والاجساد مما يقذفه من الحجارة والحجم
 ولو كان منطفئاً لما صعد منه البخار الذي يراه الناظر من مسافة بعيدة متفرقاً في الجو .
 ومعلوم ان الارض كانت جسماً يكاد يكون سيالاً يتلظى قبل وجود الانسان والحيوان
 والنبات على ظهرها ثم برد سطحها وبقي جوفها شديداً الحرارة والسبب في ثوران البراكين
 هو هذه الحرارة والماء والمواد المعدنية الحارة في جوف الارض فاذا ما اختلط الماء
 بالمواد المعدنية الحارة تمدد ورفع ما فوقه ثم يزداد الضغط عليه من الحرارة وثقل الارض
 وعندما يشتد دفعه يتفجر ويقذف اللحم والصخور والبخار ويجعل الصعيد المستوي جبلاً
 راسياً مما يرمي به تلك الاجسام ولكن اذا فقدت المواد المعدنية وظل الماء جارياً تسخنه
 حرارة باطن الارض الطبيعية البالغة التي درجة او اكثر وكانت الارض بركانية من
 قبل لا يصعد منها افواها غير البخار كما يشاهد في ابي رباح هذا اذ يسمع الانسان الواقف
 عند فوهته صوتاً كهدير البحر ويرى البخار يتصاعد منها كبخار الماء المغلي في المرجل
 فمن هذا يتبين لنا ان ابار رباح كان بركاناً ثائراً في العصور الخالية ودام ثورانه ودحاً
 من الزمن الى ان انتهى ما في جوفه من المواد المعدنية وبقي الماء والحرارة الطبيعية
 المسببان لصعود بخاره الحار

نظرة تاريخية — اتضح مما قدمنا ان هذه الحمة بركان فقدت موادها المعدنية الحارة
 منذ الوف من السنين وصارت الى ما هي عليه اليوم عبارة عن فوهة وسط جبل
 يتصاعد منها بخار مائي ليس الا . ثم جاء الاقدمون وبنوا فوق هذه الفوهة حماماً يستشقون
 به من الاستقام والامراض ولكن من هؤلاء الاقدمين الذين شادوا هذا المعهد
 الكبير النافع ؟ ..

سؤال نقف عنده اذ ليس لدينا من الادلة التاريخية الا الآثار الموجودة التي
 سنستنبط منها ما يكون موافقاً للاحكام التاريخية فنقول : سكن هذه البلاد كما روى
 التاريخ من الامم ذات الحضارة والمدنية والسلطة الكنعانيون والآراميون واليونانيون
 السلوقيون والتدمريون والرومانيون المسلمون فالامم الاربع الاولى هم سكان البلاد
 الاصليون والاثنتان الباقيتان هم الفاتحون الذين قطنوها بعد الفتح فاي امة من هذه

الام قامت بتشيد هذا المحل ياترى ؟ المسلمون ؟ لا لأن الآثار الموجودة ليست من ايامهم بل هي اقدم منهم بقرون عديدة كما انها ليست من اعمالهم ولو كان ذلك لدونوها في كتبهم وكذلك الرومانيون لم يكونوا الامة فتوح واستعمار لامة علم وفن ولم يبرزوا الا في بناء المعقل والحصون في الصحاري لصدمات المهاجمين وقبلما تنفع دولة مستعمراتها كما تفيد ممالكها الاصلية ومع كل ذلك نرى اثرًا من تلك الآثار المتباعدة في طراز هندستها وقدمها على نسق الابنية الرومانية ذات العقود والقناطر قائمًا على يمين الحجة بمسافة عشرات من الخطوات وهو احدث الآثار الباقية المتداعية الاركان .

واذا امعنا النظر في هذه الآثار ندرك ان ليس للمكتنعين والاراميين من صنعتها فيها وربما افلموا في ذلك المنكاف حينًا من الدهر حتى داهمتهم الحم الصادرة عن جوف الارض ابان ثورانها فازهقت نفوسهم ودفنت مساكنهم اذ يصر المرء هنالك آثارًا طامسة تغشاها الحم والانتقاض الدالة على الثوران في غير الزمان .

وهنا لم يبق لدينا سوى تينك الامتين السلوقية والتدمرية ولا مناص من اية هذا الحمام وما يجاوره من الانتقاض الى احداهما او الى كتبهما لان الامة السلوقية كانت ربة علم وفلسفة لا بغوتها استخدام مثل هذا الجار للنافع الصحية وكذلك الامة التدمرية على ما نعرفه وبعرفه اغناس والعام فان لنا في مدينتها العظيمة شاهدًا عدلًا على ما بلغته من الاتقان في الصناعات والترقي في الفنون وناهيك باعمدها الباسقة التي كانت تجري من فوقها الانهار فامة مثل هذه لا يعوقها جعل بركان قريب لعاستمتها^(١) حمامًا يزبل مافي الابدان من الاوجاع والاصاب .

فكلنا الامتين كان لهما في حلبة المعارف افكار سامية وفي مضمار الرقي غقول نيرة ثم دالت دولتهما وهما بنشدان :

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

اي لعمر الحق انها لا آثار تدل على ما كان لهم من اليد الطولى في الفنون الجليلة والصناعات البديعة كما ان قيام هذا الحمام ليس عن عيب او سائفة طبيعية بل عن علم صحيح وعقل راجح فانك اذا حققت النظر في مبانيه الخربة وجدت انها كانت في عهدها الزائل مستوفاة الشروط الطبيعية داخلاً وخارجاً ما تعجز نحن ابنا القرن العشرين عن الافكار بمثلها ولو بعد حين .

(١) المسافة بين تدمر وإبي رباح ستون ميلاً

وفوق كل هذا انني ارجح نسبة هذه الآثار الى التدمريين لمشابهة انقاضها لانقاض مدينة تدمر وقرىها منها ولما يتواتر على السنة الاهلين في تلك الانحاء من ان هنالك ساقية قديمة تنتهي الى المدينة المذكورة .

نبذة صحية — لو كنت طبيباً لفحصت هذا الحمام من وجهته الطبية والكجاية فحسباً دقيقاً وعلت ماهية بخاره ومقدار درجة حرارته ونتيجة تحليله ولكنني لا اطيع التطفل على موائد الطب فاقصر على ما اعلمه من شفاؤه للمصابين بالامراض العصبية عامة وتيبس الاعضاء والتشنج خاصة .

وفاتنا ذكر ما هنالك من المناظر غير الفوهة التي بني عليها الحمام ومنها متقدات احدها يتداوى به الصم بوضع آذانهم على فيه والثاني يؤمه العقبات من النساء لدفع الاسباب المانعة من جلوسهم بقعودهن القرفصاء عليه ولا اخال الاطباء يقولون بخرافة هذه الطريقة لان البخار اذا ما دخل الاذن ويبت الولادة يطهر ما فيها من الاوساخ ان كان ثمت ذلك والله اعلم .

لمحة ادارية اقتصادية — ليس من ينكر ان مثل هذه المعاهد اذا عني باصلاحها تأتي بدخل عظيم ولكننا امة قدر لها ان تكون في العصر الماضي خاملة كسلى لانهتدي الى طرق غناها ولا تدرك مقر ثروتها التي هي تحت تصرفها وفي حوزتها قرى المال الذي في جبالها متروكا والمزوج بتربة سهلها منسياً ومن جملة المهملات هذا المكان الذي نحن بصددده وهو لم يزل خراباً يساباً يلجأ اليه لصوص الاعراب وجناتهم فلو لحظ بطرف الاهتمام قليلاً وارسل اليه طبيب كجاي يحلل بخاره ويشرح فوائده الصحية بتقرير شرحاً وافياً ومهندس يخطط لاعتماره مصوراً كافياً ثم تنشأ فيه اماكن منظمة تسر القاصدين من المرضى وغيرهم بعد بناء مخفرة للجند تمتع المعتدين من اهل البادية وتلزمه الحكومة الى شركة او متمول لقاء مبلغ من المال لكانت تستفيد منه وتفيد فتشتر الامن في تلك الربوع وعساها فاعلة عن قريب وعسى اهل العلم لا يرضون علينا بما يكشف الغامض من هذه الحمامات البخارية

فارس قياض



مناظرة القنائي والسيرافي

من المناظرات الجلييلة بأسلوبها وجمال انشائها ماجرى بين متى بن يونس القنائي وبين ابي سعيد السيرافي تقتبسها من الجزء الثالث من معجم الادباء لياقوت الذي صدر مؤخراً ليطلع القراء على افكار فيلسوف وافكار نحوي وها نحن نقدم قبل ايراد المناظرة مختصر ترجمة المناظرين وناقلاً كلامهما ليكون القاري على بينة ممن يتلو كلامه

امامنا^(١) بن يونس ابو يونس ابو بشر وهو من اهل دير قتي فهو ممن نشأ في اسكول مرماري قرأ على قويري وعلى روفيل وبنيامين ويحيى المروزي وعلى ابي احمد بن كزيب وله تفسير من السيرافي الى العربي واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره وكان نصرايياً وتوفي ببغداد يوم السبت لاثني عشر ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وبقى من الكتب مقالة في مقدمات صدر بها كتاب انالوطيقا كتاب المقاييس الشرطية شرح كتاب ايساغوجي لفرغور يوس

واما ابو سعيد الحسن السيرافي فيتلخص مما قاله لياقوت في معجم الادباء ان سيراف بلید علی ساحل البحر من فارس كان ابوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه ابو سعيد عبدالله وقال ابو حيان في كتابه الذي ألفه في تقريب عمر بن بحر وقد ذكر جماعة من الائمة كانوا يقدمون الجاحظ وبفضلونه فقال : ومنهم ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وامام الائمة معرفة بالتحق والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة اتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى ببغداد وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة يحفظه سيف السلجاني فما جازاه فيه احد ولا سبقه الى تمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والامانة والرواية صام اربعين سنة واكثر الدهر كله ومات سنة ٣٦٨

هذا اما ابو حيان التوحيدي فهو المتكلم الصوفي صاحب المصنفات ومنها كتاب البصائر والاشارات وغيرهما وكتاب المقابسات^(٢) وكان اماماً^(٣) في النحو واللغة والتصريف فقيهاً مؤرخاً وصفه ابن التجار بأنه كان فقيراً صابراً متديناً وأنه كان صحيح العقيدة الا ان بعض المؤرخين رموه بالكذب وقلة الدين والمجاهرة بالبهتان وأنه تعرض لامور جسام

(١) تاريخ الاطباء (٢) المقتبس م ٠١ ص ٣٠٢ (٣) طبقات الشافعية الكبرى

والقدح في الشربة والقول بالنعطيل قال ابن فارس : ولقد وقف سيدنا صاحب كافي الكفاة على بعض ما كان يدخله ويخفيه من سوء الاعتقاد فطلبه ليقطله فهرب والتجأ الى اعدائه ونفق عليهم بزخرفه وافكه ثم عثروا منه على قبيح دخلته وسوء عقيدته وما يبطنه من الاحاد وپرومه في الاسلام من الفساد وما يلصقه باعلام الصحابة من القبايح ويضيفه الى السلف الصالح من الفضائح فطلبه الوزير المهلب فاستمر منه ومات في الاستتار .
وعده ابو الفرج ابن الجوزي في تاريخه احد زنادقة الاسلام الثلاثة وهم ابن الراوندي وابو حيان التوحيدي وابو العلاء قال واشدهم على الاسلام ابو حيان لانه جمع ولم يصرح . قال السبكي انه وقع على كثير من كلامه فلم يجد فيه الا ما يدل على انه كان قوي النفس مزدرى باهل عصره ولا يوجب هذا القدر . قلنا وما كان طلب صاحب ابن عباد لابي حيان الا لان هذا وضع كتاباً^(١) سماه مثالب الوزير بن ضمنه معائب ابي الفضل بن العميد والصاحب بن عباد وتحامل عليهما وعدد نقائصهما ومن كتبه ايضاً الامتاع والموانسة في مجلدين وكتاب الصديق والصدقة وكان موجوداً في السنة الاربعائة .

واليك الآن هذه المناظرة الغريبة :

قال ابو حيان : ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بين ابي سعيد السيرافي وابي بشر متى واختصرتها فقال لي اكتب هذه المناظرة على التام فان بيتاً يجري في ذلك المجلس النبیه وبين هذين الشيخين بحضرة اولئك الاعلام ينبغي ان ينتمى معاه وتوعى فوائده ولا يتهاون بشيء منه فكتبت :
حدثني ابو سعيد بلغ من هذه القصة فلما علي بن عيسى التخوي الشيخ الصالح فانه رواها مشروحة قال : لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلثمائة قال الوزير ابن الفرات للجماعة :
(وفيهم الخالدي وابن الاخشيد والكندي وابن ابي بشر وابن رباح وابن كهب وابو عمرو وقدامة بن جعفر والزهرى وعلي بن عيسى بن الجراح وابو فارس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طنج من مصر والمرزباني صاحب بيه سامان) اريد ان ينتدب منكم انسان لمناظرة متى في حديث المنطق فانه يقول لاسبيل الى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من

(١) ابن خلدكان في وفيات الاعيان

الشبهة والشك من اليقين الا بما حوينا من المنطق وممكناته من القيام^(١) واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه . فاجم التوم واطرقوا فقال ابن الفرات : والله ان فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب اليه واني لا اعدكم في العلم بحاراً وللدن واهله انصاراً وللحق وطلابه مناراً فما هذا التغامز والتلازم للذهان تجلون عنهما . فرفع ابو سعيد السيرافي رأسه وقال : اعذر ايها الوزير فان العلم المصون في الصدور غير العلم المعروف في هذا المجلس على الامام المصيخه والعيون المحدقة والعقول الجلمدة^(٢) والالاب النافذة لان هذا يستصحب الهبة والهبة^(٣) مكسرة ويحتلب الحيا والخيال مغلبة وليس البراز في معركة فاضة كالصراع في بقعة خاضة . فقال ابن الفرات : انت لها يا ابا سعيد فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك والانتصار لنفسك راجع على الجماعة بفضلك . فقال ابو سعيد : مخالفة الوزير فيما يأمره هجئة والاحتجاج عن رأيه اخلاذ الى التقصير ونعوذ بالله من زلة القدم واياء نسأل حسن التوفيق في الحرب والسلام ثم واجه متى فقال : حدثني عن المنطق ما تعني به قلنا اذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطاه على سنن مرضي وعلى طريقة معروفة . قال متى : اعني به انه آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من سقيمه وفاسد المعنى من صالحه كالميزان فاني اعرف به الرجحان من النقصان والسائل من الجانح . فقال له ابو سعيد : اخطأت لان صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل ان كنا نبحث بالعقل هيك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن من لك^(٤) بمعرفة الموزون اهو حديد او ذهب او شبه او رصاص وارك بعد معرفة الوزن فقيراً الى معرفة جوهر الموزون والى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عددها فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك وفي تحقيقه كان اجتهادك الاتقعا يسيراً من وجه واحد وبقيت عليك وجوه فانت كما قال الاول

حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء

وبعد فقد ذهب عليك شيء هاهنا ليس كل ما في الدنيا يوزن بل فيها ما يوزن وفيها ما يكال وفيها ما يذرع وفيها ما يمسح وفيها ما يحزر وهذا وان كان هكذا في الاجسام المئوية فانه ايضاً على ذلك في المعنويات المقروءة والاحساس^(٥) ظلال العقول وهي

(١) لعله القياس (٢) كذا بالاصل (٣) ق -- (٤) ق ذلك (٥) لعله والاجسام

تجكيها بالتبديد والتقريب مع الشبه المحفوظ والمماثلة الظاهرة ودع هذا اذا كان المنطق
وضعه رجل من يونان على لغة اهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفون بها من رسومها
وصفاتها من اين يلزم الترك والهند والفرس والعرب ان ينظروا فيه ويتخذوه حكماً لم
وعليهم وقاضيا بينهم ما شهد له ^(١) قبلوه وما انكره ^(٢) رفضوه . قال متى : انما لزم ذلك
لان المنطق بحث عن الاغراض المعقولة والمعاني المدركة وتصفح للخواطر السائجة
والسوانح الهاجسة والناس في المعقولات سواء الا ترى ان اربعة واربعة ثمانية عند
جميع الامم وكذلك ما اشبه . قال ابو سعيد : لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات
باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة وطرائقها المتباينة الى هذه المرتبة البينة في اربعة واربعة
انهما ثمانية زال الاختلاف وحضر الاتفاق ولكن ليس الامر هكذا ولقد موهت بهذا
المثال ولكم عادة في مثل هذا التويه ولكن ندع هذا ايضا اذا كانت الاغراض المعقولة
والمعاني المدركة لا يوصل اليها الا ^(٣) باللغة الجامعة للاسماء والافعال والحروف افليس
قد لزم الحاجة الى معرفة اللغة . قال : نعم . قال اسطخات : قل في هذا الموضع بلى .
قال متى : بلى انا اقلدك مثل هذا . قال ابو سعيد : فانت اذا لست تدعوننا الى علم المنطق
بل الى تعلم اللغة اليونانية وانت لاتعرف لغة يونان فكيف صرت تدعوننا الى لغة لاتفي
بها وقد عفت منذ زمان طويل وباد اهلها وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها
ويتفاهمون اغراضهم بتصرفها على انك تنقل من السريانية فما نقول في معان متهولة ^(٤)
بالنقل من لغة يونان الى لغة اخرى سريانية ثم من هذه الى لغة اخرى عربية . قال
متى : يونان وان بادت مع لغتها فان الترجمة قد حفظت الاغراض وادت المعاني واخلصت
الحقائق . قال ابو سعيد : اذا سمنا لك ان الترجمة صدقت وما كذبت وقومت وما حرفت
ووزنت وما جرفت ولا نقصت ولا زادت ولا قدمت ولا اخرت ^(٥) ولا اخات بمعنى
الخاص والعام ولا باخص الخاص ولا باعم العام وان كان هذا لا يكون وليس في طبائع
اللغات ولا في مقادير المعاني فكأنك تقول بعد هذا لاجمة الا عقول يونان ولا برهان
الا ما وصفوه ^(٦) ولا حقيقة الا ما ابرزوه . قال متى : لا ولكنهم من بين الامم اصحاب
عناية بالحكمة والبحث عن ظاهري هذا العالم وباطنه وعن كل ما يتصل به وينقل عنه
وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وانتشر ما انتشر وفشا ما فشا ونشأ ما نشأ من انواع العلم

(١) ق لم (٢) ق نكروه (٣) ق — (٤) امله متجولة (٥) ق اخرقت (٦) لعله

واصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم . قال ابو سعيد : اخطأت وتعصبت وملت مع الهوى فان العلم ^(١) مبثوث في العالم ولهذا قال القائل

العلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل مبثوث

وكذلك الصناعات مفوضة على جميع من على جديد الارض ولهذا غلب علم سيفي مكان دون مكان وكثرت صناعة في بقعة درن صناعه ^(٢) وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة ومع هذا فالتما كان يصح قولك ويسلم دعواك لو كانت يونان معروفة بين جميع الامم بالصحة الغالبة والفطرة الناضرة والبنية المخالفة وانهم لو ارادوا ان يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا ان يكذبوا ما استطاعوا وان السكينة نزلت عليهم والحق تكفل بهم واخطأ تبرأ منهم والفضائل لصقت باصولهم وفروعهم والردائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهل من يظنه بهم وعناد من يدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم من الامم يصيبون في اشياء ويخطئون في اشياء و يصدون في امور و يكذبون في امور ويحسنون في احوال و يسيئون في احوال وليس واضح المنطق يونان باسرها انما هو ^(٣) رجل منهم وقد اخذ عن قبله كما اخذ عنه من بعده وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير وله مخالفون منهم ومن غيرهم ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر والبحث والمذلة والجواب سنخ وطبيعة فكيف يجوز ان يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف او يحله او يؤثر فيه هيئات هذا محال . ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان قبل منطقه وامسح وجهك بالسوة عن شيء لا استطاع لانه مفتقد بالفطرة والطباع وانت فلوفرغت بالك وحسرت عنائك الى معرفة هذه اللغة التي تتحاورنا بها وتجارينا فيها وتدرس اصحابك بفهم اهلها وتشرح كتب يونان بعادة اصحابها لعلتك غني عن معاني يونان كما اذك غني عن لغة يونان وهاتنا مسألة : انقول ان الناس عقولهم مختلفة وانصباؤهم منها متفاوتة . قال متى : نعم . قال : وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة او الاكتساب . قال : بالطبيعة . قال : فكيف يجوز ان يكون هاتنا شيء لا يرتفع به الاختلاف الطبيعي والتفاوت الاصلي . قال متى : هذا قد مر في جملة كلامك آتفا . قال ابو سعيد : فهل وصلته بجواب قاطع وبيان ناصع ودع هذا اسألك عن حرف واحد هو دائر سيفي كلام العرب ومعانيه متميزة عند اهل العقل فاستخرج انت معانيه من ناحية منطق

(١) ق العالم (٢) لعله بقعة (٣) ق —

ارسطاطاليس الذي تدل به ^(١) وتباهي بتفخيمه وهو الوار وما احكامه وكيف مواقفه وهل هو على وجه واحد او وجوه . فبهت متى وقال : هذا نحو والفحو لم انظر فيه لان لاحاجة بالمنطقي الى الفحو والفحوي حاجة الى المنطق لان المنطق يبحث عن المعنى والفحو يبحث عن اللفظ فان مر المنطقي باللفظ فبالعرض وان عبر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى اشرف من اللفظ واللفظ اوضح من المعنى . قال ابو سعيد : اخطأت لان المنطق والفحو واللفظ والانفصاح والاعراب والالبناء والحديث والاختيار والاستخبار والعرض والتفني والحض والدعاء والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمساكلة والمائلة الا ترى ان رجلا لو قال نطق زيد بالحق ولكن ماتكم بالحق وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش واعرب عن نفسه ولكن ما افصح وابان المراد ولكن ما اوضح اوفاه بحاجته ولكن ما لفظ او اخبر ولكن ما انبا في جميع هذا مخرقا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقه ومستعملا للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره والفحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة وانما الخلاف بين اللفظ والمعنى ان اللفظ طبيعي والمعنى عقلي ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان بقفو اثر الطبيعة باثر آخر من الطبيعة ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان لان مستعالي المعنى عقل والعقل الهى ومادة اللفظ طينية وكل طيني متناهات وقد بقيت انت بلا اسم لصناعتك التي ^(٢) ننشعلها وآلتك التي ترضى بها الا ان تستعير من العربية لها امما فتعار وبسلم لك بمقدار وان لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من اجل الترجمة فلا بد لك ايضا من كثيرها من اجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلعة اللاحقة بك . قال متى : يكفني من لفتكم هذا الاسم والفعل والحرف فاني ابغى بهذا القدر الى اغراض قد هذبتهالى يونان . قال ابو سعيد : اخطأت لانك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير الى وصفها ^(٣) وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز اهلها وكذلك انت محتاج بعد هذا الى حركات هذه الامماء والافعال والحروف فان الخطأ والتعريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات وهذا باب انت واصحابك ورعطك عنه في غفلة على ان هاهنا سررا ما علق بك ولا اسفر لعقلك وهو ان تعلم ان لغة من اللغات لا تطابق لغة اخرى من جميع جهاتها بمحدود صفاتها في امائها واقعاها وحر وفواؤها ليقها وتقدمها وتأخيرها واستعارتها وتحيقها وتشديدتها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها وتأثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره وما اذن

أحداً يدفع هذا الحكم أو يسأل في صوابه ممن يرجع الى مسكة من عقل أو نصيب من انصاف فمن أين يجب أن تثق بشيء ترجح لك على هذا الوصف بل أنت الى أن تعرف اللغة العربية أحوج منك الى أن تعرف المعاني اليونانية على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية^(١) كما أن اللغات^(٢) لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركية ومع هذا فأنك تزعم أن المعاني حاصلة^(٣) بالعقل والفحص والفكر فلم يبق إلا أحكام اللغة فلم تزري على العربية وانت تشرح كتب أرسطاطلا ليس بها مع جهلك بحقيقتها وحدثنني عن قائل قال لك حالي في معرفة الحقائق والتفصيح لها والبحث عنها حال قوم كانوا قبل واضع المنطق انظروا كما نظروا^(٤) واتدبر كما تدبروا لأن اللغة قد عرفت بالمشأ والوراثة والمعاني تقرت عنها بالنظر والرأي والاعتقاد والاجتهاد ما نقول له لا يصح له هذا الحكم ولا يستتب هذا الأمر لأنه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفت أنت ولعلك تفرح بتقليدك وإن كان على باطل أكثر مما يفرح باستبداده وإن كان على حق وهذا هو الجهل المبين والحكم الغير مستبين ومع هذا فحدثني عن الواو ما حكمه فاني أريد أن أبين أن تفخيذك للمنطق لا يغني عنك شيئاً وإن تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها الى الحكمة اليونانية ومن جهل حرفاً واحداً أمكن أن تجهل اللغة بكاملها وإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها فاعلمه يجهل ما يحتاج اليه ولا ينفعه فيه علم بما لا يحتاج وهذه رتبة العامة او هي رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير فلم يتأني على هذا وينكر ويثوم انه من الخاصة وخاصة الخاصة وأنه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة وخفي القياس وصحيح البرهان وإنما سألتك عن معاني حرف واحد فكيف لو ثرت عليك الحروف كلها وما البشك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق والتي لها بالتجوز وسمعتكم تقولون « في » لا يعلم النحويون مواقعها وإنما يقولون هي للواء كما يقولون أن الباء للالفاظ وان في لقال على وجوه يقال الشيء في الرواء والالاف في المكان والسائس في السياسة والسياسة في السائس الا ترى هذا الشقيق^(٥) هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها ولا يجوز أن يعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب فهذا جهل من كل من يدعيه وخطل من القول الذي افاض النحوي اذ قال « في للواء » فقد افضح في الجملة عن المذنب الصحيح وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظاهر بالتفصيل ومثل هذا كثير وهو كاف في موضع السكيت . فقال

(١) ق هندية (٢) لعله « الاعراض » (٣) ق حاصلها (٤) نظرت (٥) كذا

ابن الفرات ايها الشيخ الموفق اجبه بالبيان عن مواقع الواو حتى تكون اشد في الخامة وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه ومع ذلك فهو متشبع به . فقال ابو سعيد : للواو وجوه ومواقع منها معنى العطف في قولك اكرمت زيدا وعمراً ومنها القسم في قولك والله لقد كان كذا وكذا ومنها الالتفاف كقولك خرجت وزيد قائم لان الكلام بعده ابتداء وخبر ومنها معنى رب النبي هي للتقليل نحو قوله

وقاتم الاعماق خاوي المخترقن^(١)

ومنها ان تكون اصلية في الاعم كقولك واقد واصل واقد وسبى الفعل كقولك وجل يوجل ومنها ان تكون مقحمة نحو قول الله تعالى فلما اسلمنا وتله للجبين وناديتاه اي ناديتاه ومثله قول الشاعر

فلما اجزنا ساحة الحلي وانتهى بنا بطن خبت ذي قفاف عتقل^(٢)

المعنى انتهى بنا ومنها معنى الحال في قوله عز وجل : ويحكم الناس في المهد وكهلا اي يحكم الناس حال صغره بكلام الكهل في حال كمولته ومنها ان تكون بمعنى حرف الجر كقولك استوى الماء والخشبة اي مع الخشبة . فقال ابن الفرات لمتى يا ابا بشر اكان هذا في نحوك^(٣) . ثم قال ابو سعيد : دع هذا هاهنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي اكثر من علاقتها بالشكل اللفظي فانقول في قول القائل زيد افضل الاخوة . قال : صحيح . قال : فمانقول ان قال زيد افضل اخوته . قال : صحيح . قال : فما الفرق بينهما مع الصحة فبلغ وجنح وعصب ريقه .^(٤) فقال ابو سعيد : اثبتت على غير بصيرة ولا استبانة المسألة الاولى جوابك عنها صحيح وان كنت غافلا عن وجه صحتها والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وان كنت ايضا ذاهبا عن وجه بطلانها . قال متى : بين ماهذا التهجين . قال ابو سعيد : اذا حضرت المختلفة^(٥) استفدت ليس هذا مكان التدريس هو مجلس ازالة التلبس مع من عادته التوبة والتشبيه والجماعة تعلم انك اخطأت فلم تدعي ان النحوي انما ينظر في اللفظ لافي المعنى والمنطقي ينظر في المعنى لاسيما اللفظ هذا كان يصح لو ان المنطقي يسكت ويحيل فكره في المعاني ويرتب ما يريد في الوهم السياح والخطاط العارض والحدس الطاري واما وهو يريد ان يبرز ما صح له بالاعتبار والتصفح الى المتعلم والمناظر فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده ويكون طباقا لغرضه وموافقا لتقصده .

(١) البيت لروبة : فليراجع مغني ابن هشام (مصر ٢٠١٣) ٣٥٠:٢ (٢) البيت لامري

القيس (٣) لعله ينطقك (٤) لعله وغص بريقه (٥) يعني التلاميذ

قال ابن الفرات يا ابا سعيد قم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة
 لاهل المجلس والتيكيت عاملا في نفس ابي بشر . فقال ما اكره من ايضاح الجواب
 عن هذه المسألة الا ملل الوزير فان الكلام اذا طال مل . فقال ابن الفرات ما رغبت
 في سماع كلامك وبين الملل علاقة فاما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر . فقال
 ابو سعيد : اذا قلت زيد افضل اخوته لم يجوز واذا قلت زيد افضل الاخوة جاز والفصل
 بينهما ان اخوة زيد هم غير زيد وزيد خارج من جملتهم وذلك دليل ^(١) انه لو سأل
 سائل فقال من اخوة زيد لم يجوز ان تقول زيد وعمرو وبكر وخالد وانما تقول بكر وعمرو
 وخالد ولا يدخل زيد في جملتهم فاذا كان زيد خارجا عن اخوته صار غيرهم فلم يجوز
 ان يكون افضل اخوته كما لم يجوز ان يكون حمارك افضل البغال لان الحمار غير البغال كما ان
 زيدا غير اخوته فاذا قلت زيد افضل الاخوة جاز لانه احد الاخوة والاسم يقع عليه
 وعلى غيره فهو بعض الاخوة الا ترى انه لو قيل من الاخوة عدده فيهم فقلت زيد
 وعمرو وبكر وخالد فيكون بمنزلة قولك حمارك افره الحمير فلما كان على ما وصفنا جاز ان
 يضاف الى واحد منكور بدل على الجنس فتقول زيد افضل رجل وحمارك افره
 حمار فيبدل رجل على الجنس كما دل الرجال وكما سبغ عشرين درهما ومائة درهم .
 فقال ابن الفرات : ما بعد هذا البيان مزيد ولقد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا
 الانتقاد . فقال ابو سعيد : معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكاته وبين وضع
 الحروف في مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب
 في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك وان زاغ شيء عن النعت فانه لا يخلو من ان يكون
 سائغا ^(٢) بالاستعمال النادر والتأويل البعيد او مردودا لخروج عن عادة القوم الجارية
 على فطرتهم فاما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لم وماؤخذ عليهم وكل
 ذلك محصور بالتبع والرواية والسماع والقياس المطرد على الاصل المعروف من غير تحريف
 وانما دخل العجب على المنطقيين لظنهم ان المعاني لا تعرف ولا تستوضح الا بطريقهم
 ونظرهم وتكلفهم فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون بترجمة اخرى هم فيها ضعفاء ناقصون
 وجعلوا تلك الترجمة صناعة وادعوا على النحويين انهم مع اللفظ لاعم المعنى . ثم اقبل
 ابو سعيد على متى فقال : الا تعلم يا ابا بشر ان الكلام اسم واقع على اشياء قد انتقلت بمراتب

مثال ذلك انك تقول هذا ثوب والثوب يقع على اشياء بها صار ثوباً ثم به نسج بعد ان غزل فسداته لا تكفي دون لحته ولحته لا تكفي دون سداته ثم تأليف كفسده وبلاغته كقصارته ودقة سلكه كرقعة لفظه وغلظ غزله ككثافته سروره ومجموع هذا كله ثوب ولكن بعد تقديم كل ما يحتاج اليه فيه . قال ابن الفرات : سله يا يا سعيد عن مسألة اخرى فان هذا كما توالي عليه بان انقطاعه وانخفاض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره والحق الذي لا ينصره . قال ابو سعيد : ما تقول في رجل قال لهذا علي درهم غير قيراط . قال متى : مالي علم بهذا الخط . قال : لست نازعاً عنك حتى يصح عند الحاضرين انك صاحب محرفة وزرق هاهنا ما هو اخف من هذا قال رجل لصاحبه : بكم الثوبان المصبوغان وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغان وقال آخر : بكم ثوبان مصبوغين بين هذه المعاني التي تضمنها لفظ لفظ . قال متى : لو نثرت انا ايضا عليك من مسائل المنطق شيئاً لكانت حالك كحالي . قال ابو سعيد : اخطأت لانك اذا سألتني عن شيء انظر فيه فان كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية اجبت ثم لا ابالي ان يكون موافقاً او مخالفاً وان كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك وان كان متصلاً باللفظ ولكن على موضع لكم في الفساد على ما ح . وتم به كتبكم رددته ايضا لانه لا سبيل الى احداث لغة مقررة بين اهلها ما وجدنا لكم الا ما استعرت من لغة العرب كالسبب والا^(١) والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهلل والخصوص وامثلة لا تنفخ ولا تجدي وهي الى العي اقرب وفي الفهاة اذهب ثم انتم هؤلاء في منطقكم على نقض ظاهر لانكم لانقون بالكتب ولا هي مشروحة وتدعون الشعر ولا تعرفونه وتدعون الخطابة وانتم عنها في منقطع التراب وقد سمعت قائلكم يقول الحاجة ماسة الى كتاب البرهان فان كان كما قال فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب وان كانت الحاجة قد مست الى ما قبل البرهان فهي ايضا ماسة الى ما بعد البرهان والا فلم صنف مالا^(٢) يحتاج اليه ويستغنى عنه هذا كله تحليل ووزق وشوبل ورعد وبرق وانما بودكم ان تشغلوا جاهلاً وتستفلوا عزيزاً وغائبكم ان تهولوا بالجفس والتنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص وتقولوا الهلية والايانية والماهية والكيفية والكمية والقدائية والرضية والجوهريّة والهيوليّة والصورية والانسية والكسبية والنفسية ثم تخطون وتقولون جثثاً بالحر في قولنا لا في شيء من باء وواو وجيم في بعض باء وفاء في بعض

جيم والاف في كل ب وج في كل ب فا اذن لافي كل ج ^(١) وهذا ^(٢) بطريق الخلف ^(٣)
وهذا بطريق الاختصاص وهذه كلها جزافات وترهات ومغالتي وشبكات ومن جاد
عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقوب رأيه وانارت نفسه استغنى عن هذا كله بعمون
الله وفضله وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأي وانارة النفس من
مناخ الله الهية ^(٤) ومواهبه السنية يختص بها من يشاء من عباده وما اعرف لاستمالكم
بالمشطق وجها وهذا الناشي ابو العباس قد تقضى عليكم وتبع طريقتكم وبين خطأكم وبرز
ضعفكم ولم اتقدروا الى اليوم ان تردوا عليه كلمة واحدة مما قال وما زدتم على قولكم « لم
يعرف اغراضنا ولا وقف على مرادنا وانما تكلم على وجه » وهذا منكم لجاجة وتكول ورضى
بالعجز والتكول وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض هذا قولكم في فعل وينفعل
ولم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما ولم تنفخوا على مقاميهما لانكم قعتم فيهما بوقوع
الفعل من يفعل وقبول الفعل من يتفعل ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم ومعارف ذهبت عنكم
وهذا حالكم في الاضافة فالما البدل ووجوهه والمعرفة واسماها والكرة ومراتبها وغير ذلك مما يطول
ذكره فليس لكم فيه مقال ولا مجال وانت اذا قلت لانسان كن منطقيا فلما تريد كن
عقليا او عاقلا او اعقل ما تقول لان اصحابك يزعمون ان المشطق هو العقل وهذا قول
مدخول لان المشطق على وجوه انتم منها في سهو واذا قال لك آخر كن نحويا لغويا فصيحيا
فلما يريد افهم عن نفسك ما تقول ثم رم ان يفهم عنك غيرك وقدّر اللفظ على المعنى
فلا ينقص منه هذا اذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به فلما اذا حاولت فرش المعنى
وبسط المراد فاحل اللفظ بالروادف الموضعية والاشباه المقربة والاستعارات الممتعة وسد
المعاني بالبلاغة اعني لوح منها شيئا حتى لا تنصب الا بالبحث عنها والشوق اليها لان المطلوب
اذا ظفر به على هذا الوجه عن وجل وكرم وعلا واشرح منها شيئا حتى لا يتمكن ان يتدري
فيه او يتعب في فهمه او يسترح ^(٥) عنه لاغتياضه في هذا المعنى يكون جاءه حقائق الاشياء
والاشباه الحقائق وهذا باب ان استقصيته خرج عن غلط ما نحن عليه في هذا المجلس على اني
لا ادري ايون ثرما قول ام لا ثم قال حدثنا هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين او رفعتم بالخلاف
بين اثنين اترك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت ان الله ثالث ثلاثة وان الواحد اكثر من واحد

(١) الصواب هو « لافي شيء من ب وان ج في بعض ب فا اذن لافي كل ج والافي
كل ب وج في كل ب فا اذن في بعض ج » (٢) الصواب « وذلك » (٣) لعله الخلاف
(٤) لعله الهية (٥) لعله ينتزع

وان الذي هو اكثر من واحد هو واحد وان الشرع ماثذ هب اليه والحق ما نقوله هييات هاهنا امور ترفع عن دعوى اصحابك وهذيانهم وتدق عن عقولهم واذهانهم ودع هذا هاهنا مسألة قد اوقعت خلافاً فارفع ذلك الخلاف بمطقتك قال قائل « لفلان من الخاطئ الى الخاطئ » ما الحكم فيه وما قدر المشهود به لفلان فقد قال ناس له الخاطئان معاً وما بينهما وقال آخرون : له انصف من كل منهما وقال آخرون : له احدهما هات الآن آيتك الباهرة ومجيزتك القاهرة وافى لك بهما وهذا قد بان بغير نظرك ونظر اصحابك ودع ايضا قال قائل « من الكلام ماهو مستقيم حسن ومنه ماهو مستقيم كذب ومنه ماهو خطأ » فسر هذه الجملة واقترض عليه عالم آخر فاحكم انت بين هذا القائل والمعترض وارنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب وبين الحق والباطل فان قلت كيف احكم بين اثنين احدهما قد سمعت مقالة والاخر لم احصل علي^(١) اعترضه قيل لك استخرج بنظرك الاعتراض ان كان ما قاله محتملا له ثم اوضح الحق منهما لان الاصل مسموع لك حاصل عندك وما يصح به او يطرد عليه يجب ان يظهر منك فلا تنعاس علينا فان هذا لا ينبغي على احد من الجماعة فقد بان الآن ان مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة وليس في قوة اللفظ من اي لغة كان ان يملك ذلك المبسوط ويحيط به ويتصب عليه سوراً ولا يدع شيئاً من داخله ان يخرج ولا شيئاً من خارجه ان يدخل خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد اعني ان ذلك يخلط الحق بالباطل وبشب الباطل بالحق وهذا الذي وقع الصحيح منه في الاول قبل وضع المنطق وقد ناد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق وانت لو عرفت العلماء والفقهاء ومسانلهم ووقفت على غورهم في قطرم وغوصهم في استنباطهم وحسن تأويلهم لما يرد عليهم وسعة تنسيقهم للوجوه المشتملة والكتابات المفيدة والجهات القرية والبعيدة لحققت نفسك وازدريت اصحابك وكان ما ذهبوا اليه وتابعوا عليه اقل في عينك من السها عند القمر ومن الحصا عند الجبل . اليس الكندي وهو علم في اصحابك يقول في جواب مسألة « هذا من باب عدة » فعد الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الامكان من ناحية الوهم بلا ترتيب حتى وضعوا له مسائل من هذا وغالطوه بها واروه من الفلسفة الداخلة فذهب عليه ذلك الوضع فاعتقد انه^(٢) مريض العقل

فاسد المزاج حائل الغريز ^(١) الب قالوا له : اخبرنا عن الاسطغسات الاجرام واصطكالك ^(٢) تضاعف ^(٣) عن يدخل في باب وجوب الامكان او يخرج من باب فقدان الى ما يخفى عن النظر ^(٤) الى ما ايضا : ما تشبيه ^(٥) الحركات الطبيعية الى الصور الميولانية وهل هي ملائمة في حدود النظر والبيان او مزبلة له على غاية الاحكام ماثلاً لفقدان الوجدان ^(٦) الامكان عند امتناع الواجب من وجوبه في ظاهر مالا وجوب له في امكان ^(٧) هذا قد حفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الركافة والضعف والفساد والفساد ^(٨) ولولا التوقي من التطويل لسردت ذلك كله ولقد مر في في خطه التفاوت في ^(٩) الاشياء غير محاط به لانه بلا في الاختلاف في الاصول والاتفاق في الفروع وكل ^(١٠) على هذا النهج فالتكررة ^(١١) تزامم عليه المعرفة والمعرفة تناقض التكررة على ان التكررة ^(١٢) من باب الالسنه ^(١٣) العارية من ملايس الاسرار الالهية لا من باب الالهية الطوعية في احوال السرية « ولقد حدثني اصحابنا الصابئون عنه بما يضحك التلكي وبحث الصو وبنم الصديق وما ورث هذا كما . الامن بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق ^(١٤) الله ^(١٥) وتوفيقاً نهدي بهما الى القول الرابع الى التحصيل والفعل الجاري في ^(١٦) تعديل انه جميع محجب . قال ابو حيان : هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ الصالح باملائه وكان ابو سعيد روى لهما من هذه القصة وكان يقول لم احفظ على نفسي كل ما قلت ولكن كتب ذلك القوم الذين حضروا في الواح كانت معهم ومحابر ايضاً وقد كتبت كثير منه . قال علي بن عيسى : ونقوض المجلس واهله بتعجبون من جأش ابي سعيد ^(١٧) المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة وقال له الوزير ابن الفرات : عين ^(١٨) الشيخ فقد نديت كباداً واقررت عيوناً ويضت وجوهاً وحكت طرازاً لا يليه الايام ولا ينطرقه الحدثنان . قال قلت لعلي بن عيسى : وكم كان سن ابي سعيد يومئذ قال ^(١٩) سنة ثمانين ومائتين وكان له يوم المناظرة اربعون سنة وقد عبث الشيخ ^(٢٠) مع السم والوقار والدين والجدة وهذا شعار اهل الفضل والتقدم وقل من ^(٢١) على مجليته الاجل في العيون وعظم في الصدور والنفوس واجبه القلوب وجرت ^(٢٢) السنة . وقلت لعلي بن عيسى : اكان ابو علي الفسوي

(١) لعله اصطكالك ^(٢) الاسطغسات والاجرام تضاعف (٣) لعله نسبة (٤) ق والتكررة

(٤) ق البسة

حاضراً في المجلس قال : لا كان غائباً وحدث بما كان وكان الحمد لابي سعيد على ما فاز به من هذا الخبر المشهور والثناء المذكور . قال ابو حيان : وقال لي الوزر عند منقطع هذا الحديث ذكرتني شيئاً كان في نفسي واحببت ان اسألك عنه واقف عليه اين ابو سعيد من ابي علي واين علي بن عيسى منهما واين المراغي ايضاً من الجماعة وكذلك المرزباني واين شاذان واين الوراق واين حيويه فكان من الجواب ما تقدم ذكره



التلغراف

سعي ركضاً رسول الكهرباء	على اسلاكه فوق الهواء
جري متدفقاً من دون صوت	كما تجري الاشعة من ذكاء
وطار بأرضنا برأً وبحراً	كما طارت بروق في السماء
وقد اوحى رمز جاء خطاً	بأقصى المدن بقرأ في جلاء
اصمٌ سامعٌ اقوال دان	واخرس ناطق بمراد ناه
جماد كاتب من غير كف	حروفاً لمن من هذا الهجاء
به التليح تصریح جلي	به الايجاز تطويل لزاء
وليس يريه حر وبرد	فيجري في المصيف وفي الشتاء
يقابل ضغط اعصار بير	وتياراً بهيج موج ماء
تجاري في الضياء وفي الدجاء	ليوصل ما يشاء بلا وناه
فيشبه في سكينته قواداً	يمد الجسم في خير الغذاء
كذا اسلاكه تحكي عروفاً	قد امتدت بمخيمات الفضاء
واعصاباً بها الاحساس يجري	لادمغة كجري الكهرباء
تسير بطيها الانباء تحيي	عوالم ارضنا سير الدماء
فصبهان الذي اهدى عقولاً	الى كشف القناع عن الخفاء

عيسى اسكندر الملعوف



العرب

العرب مات شعورهم
 ولي فولي بعده
 وظلت لهم
 لا اجتلي العلم الا
 واذا دعوت الى الهدى
 وطفقت اندب حاتم
 واقول ان عمادنا
 عاقوا النصيحة واشتوا
 قد كنت اسمع ان ارى
 فوجدته من كل علم
 فرثته وبكته
 وتقطعت اعشار فلما
 باء رب ان خمولكم
 اشجى الحب بما شجى
 ففنى الصمود الى العلى
 وايت مقتبطاً اج
 فسعادتي يابن الكرا
 ان تصبح العرب الاذل
 وتعيد مجداً كان بال
 وتكون نوراً للبر
 وتشد في ربع العلا
 فتسوء حساداً نكا
 هذبي سعادتي التي
 وهي الشفاء لعلي

فاندبه دهره باصيا
 انسي وساء ماليا
 رح والشقاء مؤاخيا
 شائنا او قاليا
 قومي ورحت مناديا
 ندب الربوع خواليا
 يا قوم اصبح واهيا
 لا يسمعون دعائيا
 وطني بهيجا زاهيا
 او علاه خاليا
 وسكنت دمعاً غاليا
 بي حيرة وفواذيا
 ترك القلوب دواميا
 ففدا حزينا آسيا
 فانال صاح مراديا
 ر من الجبور ردائيا
 م وبغيتي وراميا
 نة سادة ومواليا
 علم المرجب حاليا
 نة بالمعارف هاديا
 معاها ومبائيا
 م فضلا واعاديا
 انا ناشد وهنائيا
 وهي الدواء لدائيا

فَيْضُ الْإِيمَانِ طَبُوعَاتَا

روضة العقلاء وروضة الفضلاء

للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ صحبه محمد أمين أفندي الخانجي بعد قراءة الأصل على الشيخ طاهر الجزائري طبع بمطبعة « كردستان العلمية » بمصر سنة ١٣٢٨ ص ٢٦٧

علم الاخلاق كما قال ابن ساعد علم يعلم منه انواع الفضائل وكيفية اكتسابها وانواع الرذائل وكيفية اجتنابها وموضوعه الملكات النفسية من الامور العادية ومنفعة ان يكون الانسان كاملا في افعاله بحسب امكانه لتكون أولاده سعيدة وأخراه حميدة .
وجميع ما طبع حتى الآن من كتب هذا الفن الجليل مفيد في بابها نافع لطلابه مثل كتاب التريفة في مكارم الشريعة للراغب الاصفهاني وتفصيل التثابتن له وادب الدنيا والدين للماوردي والفوز الاصغر لابن مسكويه . وتهذيب الاخلاق له ايضا ومداداة النفوس لابن حزم ورسائل اخوان الصفا وحكم ابن عطاء الله السكندري وقواعد التصوف لابن زروق والطب الروحاني للشيرازي ومعظم احياء علوم الدين للغزالي وبعض فصول الفتوحات المكية لابن عربي وغير ذلك من كتب التصوف الصحيح

وهذا السفر من اجل الكتب التي احييت هذه الامة بمعرفة استاذنا الشيخ طاهر الجزائري نجاء الفرع والاصل متساويين في المحاسن وقد قال عنه في التذكرة الطاهرية الذي وضعه استاذنا في فوائد متفرقة في وصف الكتب النافعة الكثيرة التي يطالع عليها قوله . « وقفت في ذي الحجة سنة ١٣٢٧ على كتاب روضة العقلاء للإمام الحافظ الاجل أبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي احد افراد الدهر فوجدته كتابا من اجل الكتب وانفعها قصد فيه مؤلفه بيان ما يحتاج اليه العقلاء في ايامهم على اختلاف احوالها وهو من المطالب العالية التي يحرص عليها كل عاقل غير غافل . وليس الرجال باحق بالاستفادة منه من ربات الحجال وقد ابتدأ كل مطلب بمحدث ثابت يتعلق به واتبعه بما قصد بيانه ووشاه بشواهد كثيرة مما قاله فيه شعراء الحكماء وحكامه الشعراء وجرى في عبارته تنقيح من اتوا الحظ الادنى من البيان فيجدر بالعقلاء ان يروضوا انفسهم في روضتهم بجنتين من اثمارها وبحشنتين من لازهارها »

والمؤلف من جلة العلماء المكثرين من التأليف^(١) المجودين فيما كتبوا وكتابه هذا على ما علم طبع لأول مرة وقد ترجم له ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال ما عاصده : « أبو حاتم محمد بن حبان التميمي الدلامة الفاضل المتقن كان مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون والاسانيد أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم ان الرجل كان يجرأ في العلوم سافر ما بين الشام والاسكندرية وادرك الائمة والعلماء والاسانيد العالية وكان من اوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عتلاه الرجال صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق اليه وولي القضاء بسمرة وقد وغيرها من المدن وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته . قال أبو بكر احمد بن ثابت : ومن الكتب التي تكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واصفها مصنفات ابي حاتم محمد ابن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السجزي ووقفني على تذكرة باسمائها ولم يقدر لي الوصول الى النظر فيها لانها غير موجودة بيننا ولا معروفة وانا اذكر منها ما استحسنته سوى ما عدلت عنه واخرجه . فمن ذلك كتاب الصحابة خمسة اجزاء وكتاب التابعين خمسة عشر جزءاً وكتاب اتباع التابعين خمسة عشر جزءاً وكتاب تبع الانبياء سبعة عشر جزءاً وكتاب تبع عشرون جزءاً وكتاب الفصل بين النقلة عشرة اجزاء وكتاب علل اوهام اصحاب التواريخ عشرة اجزاء وكتاب علل حديث الزهري عشرون جزءاً وكتاب علل حديث مالك عشرة اجزاء وكتاب علل مناقب ابي حنيفة ومثاله عشرة اجزاء وكتاب علل ما استند اليه ابو حنيفة عشرة اجزاء وكتاب ما خالف الثوري في شعبة ثلاثة اجزاء وكتاب ما انفرد فيه اهل المدينة من السنن عشرة اجزاء وكتاب ما انفرد به اهل مكة من السنن عشرة اجزاء وكتاب ما عند شعبة عن قتادة وليس عند سعيد عن قتادة جزآن وكتاب غرائب الاخبار عشرون جزءاً وكتاب ما غريب الكوفيون عن البصريين عشرة اجزاء وكتاب ما غريب البصريون عن الكوفيين ثمانية اجزاء وكتاب اسامي من يعرف بالكشي ثلاثة اجزاء وكتاب كشي من يعرف بالاسامي ثلاثة اجزاء وكتاب الفصل والوصل عشرة اجزاء وكتاب التمييز بين حديث الثوري والحدافي والضر الحزاز جزآن وكتاب الفصل بين حديث اشعث بن مالك واشعث بن سوار جزآن وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن راذان ثلاثة اجزاء وكتاب الفصل بين مكحول الشامى ومكحول الازدي

جزء وكتاب موقوف مارع عشرة اجزاء وكتاب آداب الرجال جزءان وكتاب ما اسند
جنادة عن عبادة جزء وكتاب الفصل بين حديث نور بن يزيد ونور بن زيد جزء وكتاب
ما جعل عبدالله بن عمر عبدالله بن عمر جزءان وكتاب ما جعل شيان سنيان اوسفيان شيان
ثلاثة اجزاء وكتاب مناقب مالك بن انس جزءان وكتاب مناقب الشافعي جزءان وكتاب
المعجم على المدن عشرة اجزاء وكتاب المقلين من الحجاز بين عشرة اجزاء وكتاب المقلين
من العراقيين عشرون جزء وكتاب الابواب المتفرقة ثلاثون جزء وكتاب الجمع بين الاخبار
المتضادة جزءان وكتاب وصف المعدل والمعدل جزءان وكتاب مفصل بين حدثنا واخبرنا
جزء وكتاب وصف العلوم وانواعها ثلاثون جزء وكتاب الهداية الى علم السنن قصد
فيه اظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه يذكر حديثاً و يترجم له ثم يذكر
من يتفرد بذلك الحديث ومن يقارن به اي بلد هو ثم يذكر كل اسم في اسناده من الصحابة
الى شيخه بما يعرف من نسبته ومولده وموته وكنيته وقبيله وفضله وتيقظه ثم يذكر ما في
ذلك الحديث من الفقه والحكمة فان عارضه خبر ذكره وجمع بينهما وان تضاد لفظه في
خبر آخر تلطفت للجمع بينهما حتى يعلم ما في كل خبر من صناعة الفقه والحديث معاً
وهذا من ائبل كتبه واعزها .

قال ابو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر يعني السجزي فقلت له : اكل هذه
الكتب موجود عندكم ومقدور عليها ببلادكم فقال انما يوجد منها الشيء اليسير والنزر
الحقير .

قال وقد كان ابو حاتم بن حبان سبل كتبه ووقفها وجمعها في دار رسمها بها
فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان وضعف السلطان واستيلاء ذوي العيش
والفساد على اهل تلك البلاد . قال الخطيب : ومثلاً هذه الكتب الجليلة كان يجب ان
يكثر بها النسخ فيتنافس فيها اهل العلم ويكتبونها ويحفظونها احرازاً لاولا احسب المانع
من ذلك كان الاقله معرفة اهل تلك البلاد بحل العلم وفضله وزهدهم فيه ورغبتهم
عنه وعدم بصيرتهم به والله اعلم .

قال الامام تاج الاسلام : وحصل عندي من كتبه بالاستاد المتصل سماعاً كتاب
التقاسيم والانواع خمس مجلدات وكتاب روضة العتلاء وحصل عندي من تصانيفه غير
مستدة عدة كتب مثل كتب الهداية الى علم السنن من اوله قدر مجلدين وله وهو اشهر
من هذه كلها كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شرب الايمان وكتاب

صفة الصلاة . وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار والمشهورين في الامصار والاقطار
 عالمًا بالطب والنجوم وفتون العلم جعل داره مدرسة لاصحابه ومسكنًا للغرباء الذين
 يقيمون بها واهل الحديث والشفقة ولم يجرايات يستنفقونها داره وفيها خزائن كتبه في
 يدي وصي سلمها اليه لبيدها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة من غير ان يخرج منه .
 قال الحاكم : ابو حاتم كبير في العلوم وكان يحدد انضله وتقدمه . وصنف لابني الطيب
 المصعبي كتابًا في القرامطة وتوفي سنة ٣٥٤ ودفن في الصفة التي ابتناها بمدينة بسط
 بقرب داره اه

هذا هو الرجل العظيم الذي اغفل ذكره كتاب التراجم والباحثون في آثار السلف
 كصاحب وفيات الاعيان وفوات الوفيات وصاحب الفهرست وصاحب كشف الظنون
 ومع هذا لم يغفل عنه باقوت وترجمه بما هو اهله . وكف في هذه الامه من ضاعت تراجمهم
 وغابت عنا اعمالهم اضعف في مدارك اهل بلدهم وعمم النفوس في ديارهم وحسد نالهم
 وهي العلامة المميزة للمصلحين والصالحين التي كثيرا ما اصبوا بتأثيراتها الضارة .

اما الكتاب الذي نشر اليوم فهو روضة علم وادب واخلاق قسمه الى مطالب في
 ادب النفس ناعتت الخمسين مطلبًا مثل لزوم التقوى والعلم والصمت والصدق والحياء
 وترك القحة ولزوم النواضع ومجانبة الكبر والتعجب الى الناس ومداراةهم وافشاء السلام
 والمزاج المباح والاعتزال عن الناس ومواخاة الخاصة وكراهية المعاداة والتلون ومجانبة
 الحرص للعاقل والتحاسد والتباغض ومجانبة الغضب والطمع ولزوم القناعة والتوكل
 والرضا والعفو وصفة الكريم واللين والزجر عن قبول الوشاة وكتان السر والنصيحة للمسلمين
 كافة والزجر عن التهاجر ولزوم الحلم عند الاذى واباحة جمع المال للقائم بحقوقه والحث
 على اقامة المروآت والزجر عن قبول الهدايا وقضاء الحوائج والحث على طلب المعالي واعطاء
 الطعام والحجزة على الضائع والحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية وغير ذلك مما
 يستفيد منه الكبير والصغير ويتأدب به الامير والاجير وينفي غناه للرجال والنساء
 على السواء

يفتتح المؤلف كل فصل بحديث صحيح ثم يشفعه بكلام منظوم او منثور ينقله بالرواية
 ومنظومه كله مما يجدر بالناشئة حفظه لسلاسته وكثرة حكمه ثم يتكلم ابو حاتم من عنده
 كلامًا يدل على العقل الواسع والعلم النافع وحسن المأني ولطف الاداء وقد يورد في
 اكثر الفصول قصصًا تروق العامة والخاصة معًا . فسق تأليفه تنسيقًا عجيبًا لم يغل به من

اوله الى آخره حتى جاءت المطالب كلها متساوية بالحجج والفائدة آخذة من الحسن والاحسان بنصيب وافر . فجوذة الاسلوب *à methode* التي عرفت بها مصنفات الافرنج لعهدنا تجدها على اتمها في المجهودين للتأليف في عصور الارلقاء الاسلامي وهذا الكتاب نموذج صالح منها

واليك الآن مثالا من عبارة المؤلف تستدل منها على مبلغه من الحذق والعلم والبيان . قال ابو حاتم : لا يكون المرء بالمصيب في الاشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب والعامل يكون حسن المأخذ في صغره صحيح الاعتبار في صباه حسن العفة عند ادراكه رضي الثمائل في شبابه ذا الرأي والحزم في كهوله يضع نفسه دوت غايته برتوه (خطوة) ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها لان من جاوز الغاية في كل شيء صار الى النقص ولا ينفع العقل الا بالاستعمال كما لا تنفع الاعوان الا عند الفرصة ولا ينفع الرأي الا بالانتحال كما لا تتم الفرصة الا بحضور الاعوان . ومن لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه اخاف ان يكون حقة في اقرب الاشياء اليه . ورأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل ان يكون والواجب على العاقل ان يمتنع من الاشياء ثلاثة فانها اسرع في افساد العقل من النار في يسر العوسج : الاستغراق في الضحك وكثرة التمني وسوء الثبوت . لان العاقل لا يشكك ما لا يطبق ولا يسعى الا لما يدرك ولا يعد الا بما يقدر عليه ولا ينفق الا بقدر ما يستفيد ولا يطلب من الجزاء الا بقدر ما عنده من الغذاء ولا يفرح بما نال الا بما جدي عليه تقعه منه والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ولمعرفته رفرده ومحضره ولمدوه عدله وبره والعاملة بشره وتحيته ولا يستعين الا بمن يجب ان ينظر بحاجته ولا يحدث الا من يرى حديثه مقنا الا ان يغلبه الاضطراب عليه ولا يدعي ما يحسن من العلم لان فضائل الرجال ليست ما ادعوها ولكن ما نسبها الناس اليهم ولا يبالى ما فاتته من حطام الدنيا مع ما رزق من الحظ في العقل . انشدني عبد الرحمن ابن محمد الملقائي

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى يكون كذي رجل وليست له نعل
ومن كان ذا مال ولم يك ذا حجي يكون كذي نعل وليست له رجل

قال ابو حاتم : كفى بالعاقل فضلا وان عدم المال بان تصرف مساوي اعماله الى المحاسن فتجعل البلادة منه علما والمكر عقلا والهدر بلاغة والحدة ذكاء والحي صمت والعقوبة تأديبا والجرأة عزما والحجج قانيا والاسراف جودا والامساك تقديرا فلا

تكاد ترى عاقلاً الا موقراً للرؤساء ناصحاً للاقربان موافقاً للاخوان متحرراً من الاعداء
غير حاسد للاصحاب ولا مخادع الاحباب لا يشرش بالانرار ولا يبخل في الغنى ولا يشره
في الفاقة ولا ينقاد للهوى ولا يجمع في الغضب ولا يرح في الولاية ولا يمتنى مالا يبعد
ولا يكتنز اذا وجد ولا يدخل في دعوى ولا يشارك في مراء ولا بدلي بحجة حتى يرى
قاضياً ولا يشكو الوجع الا عند من يرجو عنده البرء ولا يمدح احداً الا بما فيه لان من
مدح رجلاً بما ليس فيه فقد بالغ في هجاءه ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف
للسخرية . والعافل يكرم على غير حال كالاسد بهاب وان كان راضاً وكلام العافل
يعتدل كاعتدال جسد الصحيح وكلام الجاهل يتناقض كاختلاط جسد المريض وكلام
العافل وان كان نزرأ خطوة عنايمة كما ان مقارفة المأثم وان كان نزرأ مصيبة جليلة
ومن العقل الثابت في كل عمل قبل الدخول فيه وآفة العقل العجب بل على العافل ان
يوطن نفسه على الصبر على جوار السوء وعشيرة السوء وجليس السوء فان ذلك مما لا يخطيه
على عمر الايام ولا يجب للعافل ان يجب ان يسمى به لان من عرف بالدهاء حذر ومن
عقل العافل دفن عقله ما استطاع لان البذر وان خفي في الارض اياماً فانه لا بد نأثره في
اوانه وكذلك العافل لا يخفي عقله وان اخفى ذلك جهده واول تمكن المرء من مكارم
الاخلاق هو لزوم العقل اه .

ومن الحكايات التي ساقها قوله : سمعت اسحق بن احمد القطان البغدادي يقول :
يقول : كان لنا جار ببغداد كان اسمه طيب القراء كان يتفقد الصالحين ويتعاهد
فقال لي : دخلت يوماً على احمد بن حنبل فاذا هو مغموه مكروب فقلت : مالك يا ابا
عبدالله . قال : خير . قلت : ومع الخير . قال : امتعت بشك الخنة حتى ضربت ثم
عالجوني وبرت الا انه بقي في صليبي موضع يوجعني هو اشد علي من ذلك الضرب .
قال : قلت اكشف لي عن صلبك قال : فكشف لي فلم ارفيه الا اثر الضرب فقط
فقلت : ليس لي بذي معرفة ولكن ساستخبر عن هذا قال : فخرجت من عنده حتى اتيت
صاحب الحبس وكان بيني وبينه فضل معرفة فقلت له : ادخل الحبس في حاجة قال :
ادخل فدخلت وجمعت فتيانهم وكان معي دربهما فرقتها عليهم وجعلت احدهم حتى
انسوا بي ثم قلت : من منكم ضربا اكثر قال : فاخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم
انه اكثرهم ضرباً واشدهم صبراً قال : فقلت له اسألك عن شيء فقال : هات فقلت :
شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل مياطاً يسيرة الا انه لم

يمت وعالجوه ويرأ الا ان موضعاً في صلبه يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر قال : فضحك
فقلت : مالك قال : الذي عالج له كان حائكاً . قلت : ايش الخبر . قال : ترك في صلبه
قطعة لحم ميتة لم يقطعها قلت : فما الحيلة قال : يبط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرى بها
وان تركت بلغت الى فؤاده فتثقله . قال : فخرجت من المجلس فدخلت على احمد بن
حنبل فوجدته على حاله فقصصت عليه القصة . قال : ومن يبطه . قلت : انا قال :
او تفعل قلت : نعم قال : فقام فدخل البيت ثم خرج ويده مخدنتان وعلى كتفه فوطه
فوضع احدهما في والاخرى له ثم قعد عليها وقال استخر الله فكشفت الفوطه عن صلبه
وقلت ارني موضع الوجع فقال : ضع اصبعك عليه فاني اخبرك به فوضعت اصبعي وقلت :
ها هنا موضع الوجع . قال : ههنا احمد الله على العافية فقلت : ههنا قال : هاهنا احمد الله
على العافية فقلت : هاهنا قال : هاهنا اسأل الله العافية قال : فقلت انه موضع الوجع قال :
فوضعت المضع عليه فلما احس بحرارة المضع وضع يده على رأسه وجعل يقول : اللهم
اغفر للمعصم حتى يبططه فاخذت القطعة الميتة ورميت بها وشذدت العصاة عليه وهو
لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعصم . قال : ثم هدأ وسكن ثم قال : كأني كنت معلقاً
فاصدرت قلت : يا ابا عبد الله ان الناس اذا امتحنوا بمحنة دعوا على من ظلمهم ورأيتك تدعو
للمعصم قال : اني فكرت فيما نقول وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت
ان آتي يوم القيامة ويبيني وبين احد من قرابته خصومة هو مني في حل اه

ومن اجل الفصول التي استشهد بها المؤلف وصية الخطاب بن المعلى الخزومي ابنه
قال : اخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا ابو حاتم محمد بن ادريس الخزعلي حدثني عبد
الرحمن بن ابي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلى الخزومي القرشي انه وعظ ابنه فقال :
يا بني عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعامله ، حتى تصح عيوبك ،
وتقر عينك ، فانها لا تخفى على الله خافية ، واني قد سميت لك سما ، ووضعت لك رسماً ،
ان انت حفظته ووعيته وعملت به ملأت اعين الملوك ، واتقاد لك به الصعلوك ، ولم
تزل مرتجى مشرفاً يحتاج اليك ، ويرغب الى ما في يدك ، فأطع اباك ، وافقصر نكي
وصية ايك ، وفرغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك ولبك ، واباك وهذر الكلام ،
وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الاخوان فان ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحنة ،
وعليك بالرزانة ، والتوقر من غير كبر بوصف منك ، ولا خيلاء تحكي عنك ، والنق

صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الاذى ، من غير ذلة لم ، ولا هبة منه ، وكن
 في جميع امورك في اوسطها ، فان خير الامور اوسطها ، وقل الكلام ، وافش السلام ،
 وامش متمكنا قصدا ولا تخط برجلك ، ولا تسحب ذبالك ، ولا تلوح عنقك ولا رداءك ،
 ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات . ولا تقف على الجماعات . ولا تتخذ السوق مجلسا
 ولا الحوانيت مقعدا . ولا تكثر المراء . ولا تنازع السفهاء . فان تكلمت فاختصر . وان
 مزحت فاقصر . واذا جلست قترع . وتحفظ من تشببك اصابعك ونفثيها . والعث
 بلحيتك وخاتمك . وذو اية سيفك . وتخليل اسنانك . وادخال يدك في انفك . وكثرة
 طرد القباب عنك . وكثرة الثاوب والتطوي . واشباه ذلك مما يستخفه الناس منك .
 ويعتزون به فيك . ولكن بجلستك هاديا . وحديثك مقسوما . واصغ الى الكلام الحسن
 ممن حدثك بغير اظهار عجب منك . ولا مسألة اعادة . واغض عن الفكاهات . من
 المضاحك والحكايات . ولا تحدث عن اعجائب بولذك ولا جاريتك . ولا عن فرسك
 ولا عن سيفك .

واياك واحاديث الرويا فانك ان اظهرت عجبيا بشي منها طمع فيها السفهاء فولدوا لك
 الاحلام واغتمزوا في عقلك ولا تصنع تصنع المرأة ، ولا تبذل تبذل العبد ، ولا تهب^(١)
 لحيتك ولا تبطنها ، وتوق كثرة الخلف ، ونسف الشيب ، وكثرة الكحل ، والاسراف
 في الدهن ، ولكن كلك غبا ، ولا تلح في الحاجات ، ولا تخضع في الطلبات ، ولا تعلم
 اهلك وولدك فضلا عن غيرهم عدد مالك ، فانهم ان رأوه قليلا هنت عليهم ، وان
 كان كثيرا لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، ولن لم في غير ضعف ، ولا تنازل
 أمتك ، واذا خاست فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب من عجبك ، وتفكر في مجتلك ،
 واري الحاكم شيئا من حلك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تغز تلي ركبتيك ، وتوق
 حمرة الوجه وعرق الجبين ، وان ساء عليك فاحلم ، واذا هدا غضبك فتكلم ، واكرم
 عرضك ، والى الفضول عنك ، وان قريك سلطان ، فكن منه على حد السنان ، وان
 استرسل اليك ، فلا تأمن انقلابه عليك ، وارفق به رقتك بالصبي ، وكما بما يشتهي ،
 ولا يحملك ما ترى من الطافه اياك ، وخاصته بك ، ان تدخل بينه وبين احد من
 ولده واهله وحشمه ، وان كان لذلك منك مستمعا ، والقول منك مطيعا ، فان سرقطة

(١) هب الشعر نافع ما غلظ منه . وتبطين اللحية ان لا يؤخذ مما تحت

الداخل بين الملك واهله صرعة لاتنهض ، وزلة لاتنقال ، واذا وعدت بتحقيق ، واذا حدثت فاصدق . ولا تجهز بمنطقك كمدنازع الاصم ، ولا تخافت به كخشافت الاخرس ، وتغير بحاسن القول ، بالحديث المقبول ، واذا حدثت بسماع فانسبه الى اهله ، واياك والاحاديث العائرة المشنعة التي تنكرها القلوب وتقف لها الجلود ، واياك ومضعف الكلام مثل نعم نعم ولا لا وعجل وعجل وما اشبه ذلك . واذا توضأت من الطعام ، فأجد عرك كفيك ، وليكن وضعك الخرض من الاشنان في فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنزع سيفه الطست ، وليكن طرحك الماء من فيك مسترسلا ، ولا تمج فتدفع على اقرب جلسائك ، ولا تعض نصف اللقمة ثم تعبد ما بقي منها منصيفا فان ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك . ولا تعث بالمشاش . ولا تعب شيئا مما يقرب اليه على مائدته بقلة خل او تابل او غسل . فان السحابة قد صيرت لنفسها مهابة . ولا تمسك امساك المثبور . ولا تبذر تبذير السفيه المغرور . واعرف في مالك واجب الحقوق وحرمة الصديق واستغن عن الناس يحتاجوا اليك . واعلم ان الجشع . يدعو الى الطبع . والرغبة . كما قيل تدق الرقبة . ورب اكلة تمنع اكالات . والتعفف مال جسيم . وخلق كريم . ومعرفة الرجل قدره . يشرف ذكره . ومن تعد القدر . هوى في بعيد العقر . والصدق زين . والكذب شين . ولصدق يسرع عطب صاحبه احسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله . ومعاداة الحليم . خير من مصادقة الاحمق . ولزوم الكريم على الهوان . خير من صحبة اللئيم على الاحسان . ولقرب ملك جواد . خير من مجاورة بحر طراد . وزوجة السوء الداء العضال ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه . وطاعة النساء تزيى بالعقلاء .

تشبه باهل العقل تكن منهم . وتصنع للشرف تدركه . واعلم ان كل امرئ حيث وضع نفسه . وانما ينسب الصانع الى صناعته . والمرء يعرف بقرينه . واياك واخوان السوء . فانهم يخونون من رافقهم . ويخزون من صادقهم . وقربهم اعدى من الجرب . ورفضهم من استكمال الادب . واستخفاف المستجير لو ثم . والعجلة شوم . وسوء التدبير وهن . والاخوان اثنان فحافظ عليك عند البلاء . وصدق لك في البلاء . فاحفظ صديق البلاء . وتجنب صديق العافية . فانهم اعدى الاعداء ومن اتبع الهوى . مال به الردى . ولا يعجبك الجهم من الرجال . ولا تحقر ضيلا كاخلال . فانما المرء باصغره . قلبه ولسانه . ولا يتفزع به باكثر من اصغره . وتوق الفساد . وان كنت في

بلاد الاعادي . ولا تفرش عرضك لمن دونك ولا تجعل مالك اكرم عليك
من عرضك

ولا تكثر الكلام . فتثقل على الاقوام . واضع البشر جليتك والقبول ممن لا فاك .
واباك وكثرة التبريق والتزليق . فان ظاهرك ذلك ينسب الى الثأنيث . واباك والتصنع لمنازلة
النساء . وكن متقرباً متعزاً منتهزاً في فرصتك رقيقاً في حاجتك . متنبهاً في حملتك .
والبس لكل دهر ثيابه . ومع كل قوم شكلهم . ولا ترد حتى ترى وجه المصدر . وعليك
بالنورة . سيف كل شهر مرة . واباك وحلاق الايط بالنورة . وليكن السؤال من
طبيعتك . واذا استكت (؟) فعرضاً . وعليك بالعار . فانها انفع التجارة . وعلاج الزرع
خير من اقتناء النسر . ومنازعتك اللثيم تطعمه نيك . ومن اكرم عرضه اكرمه الناس .
وذم الجاهل اياك افضل من ثنائه عليك . ومعرفة الحق من اخلاق الصدق . والرفيق
الصالح ابن عم . ومن ايسر اكبر . ومن افتقر احتقر . قصر سيف المقالة مخافة
الاجابة . والساعي اليك . غالب عليك . وطول السفر ملالة . وكثرة المني ضلالة .
وليس للغائب صديق . ولا على الميت شقيق . وادب الشيخ عناء . وتأديب الغلام
شقاء . والفاحش امير . والوفاح وزير . والحليم مطية الاحمق . والحق داء لا شفاء له
والحلم خير وزير . والدين ازين الامور . والساجدة سفاهة . والسكران شيطان .
وكلامه هذيان . والشعر . من السحر . والتهدد هجر . والشح شقاء . والشجاعة بقاء .
والهدية من الاخلاق السرية . وهي تورث المحبة . ومن ابتدأ المعروف صار له ديناء .
ومن المعروف ابتداء من غير مسألة . وصاحب الرياء . يرجع الى السخاء . ولربا لا يغير .
خير من معاملة بشر . والعرق نزاع . والمادة طبيعة لازمة . ان غير آخر غير وان شرأ فشر .
ومن حل عقدا احتمل حقدا . ومراجعة السلطان . خرق بالانسان . والفرار عار . والتقدم
مخاطرة . وعجل منفعة . ايسر في دعة . وكثرة العلل . من الخلل . وشر الرجال . انكشير
الاعتلال . وحسن اللقاء . يذهب بالشحناء . ولين الكلام من اخلاق الكرام
يأبى ان زوجة الرجل سكر . ولا يعيش له مع خلافا . فاذا هممت بتكاح امرأة
فقل عن اهلها فان العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة . واعلم ان النساء اشد اختلافاً
من اصابع الكف . فتوق منهن كل ذات بهذا . بمجولة على الاذى . فنهن المعجبة بنفسها .
المزرية ببعها . ان اكرمها رائته لفضلاها عليه . لا تشكر على جميل . ولا ترضى منه بتليل .
لسانها عليه سيف صقيل . قد كشف القمحة ستر الحياء عن وجهها . فلا تستحي من اعوارها .

ولا يستحي من جارها . كلبة حرارة . مهارشة عقارة . فوجه زوجها مظلوم . وعرضه
مشتوم . ولا ترفع عليه الدين ولا الدنيا . ولا تحفظ له لصحية ولا لكثرة بين . حجاب مهتوك .
وستره ماضور . وخبره مدفون . ^١صبح كشيياً . ومسي عانيا . شرابه مر . وطعامه غيظ
وولده ضياع . وبيته مهلك . وثوبه وسنخ . ورأسه شعث . ان ضحك فواهن . وان
تكلم فتكاره . نهاره ليل . وليله ويل . تلذذه مثل الحية العقارة . وتأسبه مثل العقرب
الجرارة . ومنهن شفشليقي شمشع سلفع ^(١) ذات مم منقع . وابراق واختلاق . تهب
مع الرياح . وتطير مع كل ذي جناح . ان قال : لا قالت : نعم وان قال : نعم قالت :
لا . مولدة لخازيه . محنقة لما في يديه . تضرب له الامثال . وتقصربه دون الرجال .
وتنقله من حال الى حال . حتى قلبي يئسه . ومل ولده . وغث عيشه . وهانت عليه
نفسه . وحتى انكره اخوانه . ورحمه جيرانه . ومنهن الورهاة الحقا . ذات الدل في
غير موضعها . الماضفة للسانها . الآخذة في غير شأنها . قد فطعت بحجة . ورضيت بكسبة .
تأكل كالحمار الراجع . تنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت . ولم يكنس لها بيت .
طعامها بائت . واناؤها ضير . وعجبتها حاض . وماؤها فائر . ومتاعها مزروع . وماعونها
منوع . وخادمها مضروب . وجارها محروب . ومنهن العطوف الودود . المباركة الولود .
المأمونة على غيبها . المحبوبة في جيرانها . المحمودودة في سرها واعلانها . الكريمة النبل
الكثيرة التفضل . الخافضة صوتا . النظيفة بيتاً . خادمها مسمن . وابنها مزين .
وخبرها دائم . وزوجها ناعم . موموقة مألوفة . وبالغفاف والخيرات موصوفة . جعلك الله
يا بني ممن يقتدي به بالهدى . ويأتمم بالتقى . ويجنب السخط . ويحب الرضى . والله
خليفتي عليك والمتولي لامرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم صلى الله على محمد
نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً اه .

هذه اعمودجات من الكتاب والغالب ان المؤلف مصنفات غير ما ذكر في ترجمته يؤيد
ذلك ما قاله آغا موعود بن ناصر من ان ما اورده من امماء مؤلفاته هو عدا ما اطرحه
منها بيد ان المؤلف نفسه يحيل في خلال كتابه هذا على بعض مصنفاته مثل كتاب
« بحجة المبتدئين » « العالم والتعلم » « الوداع والفراق » « التوكل » « مراعاة الاخوان »
« مراعاة العشر » . فكم يكون قدر جميع ما خطته انامله ياترى . وقد تلقى عليه استاذنا

(١) الشفشليقي العجوز المسترخية : والشمشع الطويلة : والسلفع الصنابة البذيئة

السيئة الخلق

المثوة بقدره حواشي نافعة وشكل محل الاشكال منه وحلاه بالفواصل فجاء هذا السفر الجليل وافيًا بالغرض من كل جهة حربًا بالثأدين ان يتدارسوه ويتنافسوا في اقتنائه لتفاسة طبعه ووضعه

السياسة الاسلامية

تأليف المسبو لثانيه طبع في باريس سنة ١٩١٠ ص ١٦٥

*La politique musulmane, par M. A. Le Chate-
lier. E. Leroux, éditeur, 28 rue Bonaparte Paris*

نشره صديقنا صاحب هذا الكتاب وهو من رجال الاجتماع والاستعمار في فرنسا مؤلفاً جديداً بهذا الاسم جملة لمجلة العالم الاسلامي الباريزية وقدمه الى احد اعضاء شورى الدولة الفرنسية فقال فيه اذا كانت لفرنسا سياسة المانية وسياسة انكليزية بل وسياسة لاتينية فلماذا لاتتخذ لها سياسة اسلامية امام مجموع العالم الاسلامي فان مائتي مليون مسلم احرياء ان يأسوا وتخرج فرنسا في سياستهم عن الاوهام الاستعمارية والسياسية .

وتكلم على تاريخ امتداد الاسلام في قارتي آسيا وافريقية فقال ان شواطئ البحر الابيض كانت عمالات للمسلمين من الاندلس حتى صقلية وشواطئ افريقية ولما فتحوا بلاد الروم (بيزناس) واخذوا بخنق البلقان زاد المسلمون من جهة اخرى ثم تراجعوا فلم يبق في اوربا غير ستة ملايين منهم وان مسلمي روسيا يتكلمون اللغة الروسية ويتحضرون بالحضارة السلافية ماعدا البوادي منهم وان كان بعضهم يتسامحون بتعلم اللغة التركية العثمانية وقد احتفظوا بعقائدهم واخلاقيهم . قال : ولقد اتهم الالبان الذين كانوا اعظم قوة تحرس عبد الحميد في المدة الاخيرة بانتحال العقيدة البكداشية على حين كان من البانيا ان سعت كل السعي في الانقلاب العثماني الاخبار

وقال ان احرار العثمانيين ليدعون الى وطنية عنصرية يطبقونها على مصالحهم حتى خاب ظن من كانوا يوافقونهم بادي بدش وقاموا يريدون ان يبقوا عثمانيين لا تراكم وان الاحرار ارادوا حياة الاسلام في اوربا الشرقية بعد ان كاد يضمحل امره منها ولكنه عاد وعليه المسحة الاوربية وذلك لاختلاط اهل باهل اوربا فكان من تأثيرات المحيط في هذا الدين ان رزق حياة جديدة ونهضة رافعة فقد احدث الانقلاب العثماني من حيث الاجتماع والعلم فشلا للدين المحمدي على نحو ما كان معروفاً على عهد الخلافة

الحميدة ولكنه ظفر ظفراً ثميناً من حيث السياسة والوطنية فبدأ في صورة جديدة أكثر انطباقاً على الروح الغربية وغداً نفوذه وقوته أكثر مما كانت على العهد الحميدي . ولم يقصر مسير روسيا في نشوئهم الاجتماعي فابدروا العواطف التي فطروا عليها في مطبوعاتهم ودار الندوة الروسية ومؤتمراتهم حتى ضاعى الاسلام في روسيا بقوته الاسلام في الارض العثمانية فتقوى هناك بخلاصه من العوائق التي كانت تضعفه واشترك اهله في حركة الشعوب الاوربية وضعف في ثقائده الا انه نشط من عقاله

وان المدارس في مدارس اوربا من السوريين والمصريين والهنود والفرس والأتراك وان كانوا قلائل في عددهم الا انهم ارباب مكانة بمقوله سيعيدون الى الامة الاسلامية شبابها . وعقد فصولا كبرى افاض فيها في شيء من ماضي بلاد الاسلام وحالتها الاجتماعية والمادية والمعنوية اليوم فتكلم على السياسة الاستعمارية في الجزائر وتونس ومراكش وافريقية الغربية وافريقية الشرقية وآسيا كلاً ما لم يخرج عن استحسان تلك الطريقة التي اتبعها فرنسا في الاستعمار وتلقين الامم المحكومة مدنيته بالقوة والعنف وتزع عادتها ونقائدها لتجربها جرعة من الآداب الفرنسية وان لم تلتقها و«فرنسة» كل من يحقق على رأسه علم الجمهورية . ويبحث في المملكة العثمانية ومصر وبلاد العرب وفارس والصين والهند ومسلمي المالابو والروس بلسان اجتماعي ينظر الى مصلحة قومه من الوجهة الاستعمارية .

وقال في النتيجة ان الواجب على حكومته ان تفتح اعتماداً بعشرين الف فرنك تقطعها لكلية الجزائر لتستعين بها على نشر المطبوعات التي تجعل الجزائر مورد العالم العربي ومصدره وما ندرى كيف يتسنى ذلك بين قوم يقضى عليهم ان ينسوا انتمهم العربية ولا يدروسوها نصف اربع لغة الحضارة الحديثة

ولفت انظار من قدم له كتابه الى اصلاح حال مدرسة اللغات الشرقية في باريس وزيادة العناية بدراسة اللغات الاسلامية اية العربية والفارسية والتركية على نحو ما سمعت انككراً واصلحت في هذا الشأن كليتي لندرا واكسفورد وسمعت المانيا فاصلحت كلية برلين وقال ان الواجب انشاء ناد يأوي اليه من يدرسون في فرنسا من المسلمين كما انشأت برلين ولندرا مثله لهذه الغاية وقال ان اللغة العربية هي لغة التعارف والتعامل بين المسلمين كاللغة الانكليزية بين السكوتيين فينبغي صرف العناية لها . واحسن ظنه كما هي عادته بارثما المسلمين ولا سيما في الشؤون الاقتصادية

فقال ان مجموع تجارهم لم يكن في منتصف القرن التاسع عشر سيف العالم أكثر من ثروة اقترامة اورية وعدد المسلمين نحو مائتي مليون ولا يعد ان لا ينتصف هذا القرن العشرون الا ويصبح مجموعها خمسين مليار فرنك الى غير ذلك من الايضاحات التي تنتفع بها فرنسا وتستفيد في مستقبلها الاقتصادي والاستعماري .
والكتاب محل بصورات بلاد الاسلام ويبيض رسوم الجوامع والاشخاص والكتابات الاسلامية وهو يدل دلالة واضحة على مبلغ غيرة المؤلف على مصلحة امته ودرجة علمه باحوال المسلمين اليوم وامس كما هو شهادة ناطقة بان الاختصاص في فرع من فروع العلوم الكثيرة اتفق للعالم والعالم من الخطف من هنا ومن هناك

النسائيات

مجموعة مقالات نشرت في « الجريدة » في موضوع المرأة المصرية بقلم « باحثة البادية »
او العقيلة ملك حفني ناصف سنة ١٣٢٨ ص ١٧٦

من نعم الله على مصر ان فيها عاملين في كل فرع من فروع الحضارة وانها تقلد الغرب في خطواتها نحو الارثقاء حتى كادت تكون قطعة من ديار الغرب لو كان نساؤها متملات كرجالها ولكن مصر الغنية بتربتها الدكية لم تقصر في ذكاء عقول ابناؤها وبناتها فقد نشأ لها بفضل عقول رجالها ناشئة من النساء يأخذن بأيدي بنات جنسهن الى مهبع التقدم وفي رأسهن مؤلفة هذا الكتاب العقيلة ملك حفني ناصف نسبة لوالدها احد شيوخ العلم في القاهرة او « ملكة باسل » نسبة لزوجها . عني بتأديبها والدها نجاهات اديبة بزت الادباء وكاتبة بقل في الكتاب مثلها وقد نشرت الآن ما املاه قلبها على لسانها وقلما في معنى تعليم المرأة على الاسلوب الجامع الى الدين الصحيح آداب الدنيا والمدنية الحديثة

وقد طالعنا ما خطته يراعته في هذا الشأن ولا سيما محاضراتها في المقارنة بين المرأة المصرية والمرأة الغربية تكلمت فيها كلام العاقلة الحصيفة عن المولودة ودور الطفولة والمرأة والحظبة والزواج والاقتصاد المالي والمنزلي والعمل البيتي والاخلاق والعادات ودور الامومة . ومحاضراتها التي انتهت في نقد عادات النساء وختمتها بقولها لو كان لي حق النشر لاصدرت اللائحة الآتية

(المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح اي تعليم القرآن والسنة الصحيحة

(المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الاول اجبارياً في كل الطبقات

(المادة الثالثة) تعيين التدبير المنزلي علماً وعملاً وقانون الصحة وتربية الاطفال والاسعافات الوقائية في الطب

(المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأكمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر

(المادة الخامسة) اطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد

(المادة السادسة) تعويد البنات من صغرهن الصدق والجد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل

(المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج البنات قبل ان يجتمعا بحضور محرم

(المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الاتراك في الاستئانة في الحجاب والخروج

(المادة التاسعة) المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغريب من الاشياء والناس بقدر الامكان

(المادة العاشرة) على اخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا

طالعنا كل هذا ورأينا السيدة المؤلفة اجادت فيه من وراء الغاية لان اقوالها نتيجة خبرة وتجارب بل هي القانون النافع في انهاض المرأة من كبوتها وفي الكتاب مطالب كثيرة في اصلاح المرأة والاعتدال بقرآن من تضاعفه والادب بقطر من خلاله .

وقد قدم له احمد لطفي بك السيد مدير « الجريدة » والكاتب الخطيب العامل مقدمة لطيفة ابان فيها الغرض من هذه الابحاث فقال لقد اجادت باحثه البادية في جعل بحثها مرتباً على هذا النمط المعين فان الاعتدال في تعليم المرأة وتربيتها وتقرير الحد اللازم ان نلّف عنده في المساواة بينها وبين الرجال الاعتدال في ذلك كله امان من الزلل والوقوع في نتائج سيئة قد لا تكون اقل في سوء الاثر من نتائج خمول المرأة وتعودها عن السعي الى كمالها الخاص . قال اما الدين فانه ملاك اخلاق المرأة ومناط آدابها وطرق كمالها وموجب الثقة بها . ان تقوى المرأة اكبر الادلة على صونها ومعرفتها بالواجب وحسن قيامها به . ان شهود المرأة صلاة الجماعة في المسجد الجامع مرة واحدة اصلح لقلبها من

سماع واعظ اخلاقي في الدار او في المدرسة سنة كاملة . وان تقليد المرأة الشرقية لاختيها الغربية نافع ولكن هذا التقليد الى اليوم ليس بمحسنة جديدة مادام انه خلا من النوع الخاص بالدين . فان الغربية نذهب الى معبدها مرة في الاسبوع على الاقل والمسلة الشرقية لانذهب اليه في مصر ابداً . كان دخول بيت الله اثقل كلفة عليها وابتعد عن رضى وليها من دخولها في بيوتات التجارة وشهودها مسارح اللهو . الا وان حضور النساء صلاة الجماعة على صورة لائقة ومن غير امراة هو اول عمل حسني تأتبه المرأة لتقرب به مسافة الفرق بينها وبين الرجل ولتقرر به المساواة المودة . وعلى الجملة فالكتاب من انفع ما كتب في عصرنا حرياً بكل آتة وعقيلة بل بكل رب بيت ان بتدارسه ويعمل به فبالامس قام في مصر المرحوم قاسم بك امين يحرر المرأة من قيود رقبها واليوم قامت ملك ابنة حقني بك ناصف تبين الخططة العملية فتى ياترى يكتب لهذه الديار ايضاً ان يقوم فيها من بنات حواء من يسعين لاصلاح شأن بنات جنهن على الطريقة « الملكية » فالكلام بفضل بفضل مصادره واحسنه ماصدر عن ربات الحسن والالسان

سِيرُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

العلم والمال بمصر

ظهر كتاب الاحصاء الذي جرت عادة ديوان الاحصاء في مصر ان ينشره كل سنة فاذا فيه ان مجموع دخل مصر كان سنة ١٩٠٩ ١٥٨٨٧٣١٣ جنيهًا ومجموع نفقاتها ١٦٩٠٠٠١٥ جنيهًا وكانت دخلها سنة ١٨٨٠ ٩٥٨٤٤٣٠ جنيهًا وخرجها ٧٦٩١٤٣٤ جنيهًا .

وبلغ عدد مدارس الحكومة في هذه السنة المكتسبة ٦٤ مدرسة فيها ٩٩٨ استاذًا و١٤٧١٤ تلميذًا منهم ١٤٠٨٧ ذكرًا و٦٢٧ انثى وبلغ عدد المدارس الحرة ٢٦٥ مدرسة سنة ١٩٠٨ فيها ٢٣٢٩ استاذًا و٥٣٤٤١ تلميذًا منهم ٤٦٢٩٣ ذكرًا وبلغ عدد كتابت الحكومة ١٤٤ كتابًا سنة ١٩١٠ فيها ٤٤٩ استاذًا و١٣٣٦٥ تلميذًا منهم ٩١٨٣ ذكرًا وبلغ عدد الكتابت الحرة ٣٣٥٦ فيها ٦٧٩٩ استاذًا و١٩٠٨٥٧ تلميذًا منهم ١٧٤٠٣٣ صبيًا . وبلغ عدد المدارس الاحتية ٤٠٩ مدارس فيها ٢٣٢٨ استاذًا و٤٧٣٨١ تلميذًا منهم ٢٨٩١٤ ذكرًا و١٨٤٦٧ انثى

المحسنون للشام ومصر

من اول امارات النهوض في مصر والشام ان ابا السعود افندي الحسيني من اعيان دمشق يقف خزانه كتبه على المطالعين والعالمين سبلها في مكان خاص في القنوات وفيها مخطوطات ومطبوعات نادرة وهي نفيسة مهمة لانقل فيما نحسب عن التي بجلده ويقف لها عقاراً يقوم بالاتفاق عليها وعلى القيم . وان عبد الرحمن بك اليوسف من اعيان الفيحاء ايضاً تعهد بتعليم شابين في مدارس فرنسا على نفقته يعلم الاول الهندسة الميكانيكية والثاني علم الزراعة وان بطرس افندي داغر من اعيان بيروت تبرع لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في التفرجة ليرة كل سنة لتستعين بها على ترقية مدارسها الخاصة بالاناث . ووقف الامير يوسف بك كمال من اعيان القاهرة ١٨٠ فداناً من اجود اراضيها في المنيا وعمارة بالاسكندرية يبلغ صافي دخلها السنوي ستة آلاف جنيه على مدرسة الفنون الجميلة التي اسسها في احد قصوره في درب الجميزة ووهب هذه المدرسة ايضاً عشرة آلاف جنيه لهدم القصر المذكور وبنائه من جديد على طرز مدارس الفنون الجميلة في الغرب وهذا فوق ما كان دفعه من المال للجامعة المصرية والمدرسة الصناعية والابتدائية اللتين بناهما في املاكه في صعيد مصر وعلاوة على قطعة الارض التي تساوي عشرة آلاف جنيه وهبها لنادي المدارس العليا لينشي فيها منتداه . فآكرم بهؤلاء الرجال الذين يحسنون لاثارة العقول فيذكرون في الدنيا بالمحمدة وفي الاخرى بالرحمة

اعمال الطيور

نشرت المجلة الفرنسية مقالة قالت فيها ان النشاط من خصائص الطيور وقل فيها من يتخلف عن هذه القاعدة فالطير البحري المعروف بقصير الجناح *Lingouin* الذي نرى جناحيه كصل السيف يتحولان الى قطع يظهر انها تعجزه عن الحركة ومع هذا يطير ويتقز وكثيراً ما تطول مدة طيرانه وتحمله من جزائر الشمال الى البحر الابيض حيث يشتمو وهذا مثل طير القوق *Cormoran* فانه يصيد ويتناول السمك بحذق ويعرف بقرعة منه كيف يمسك ذات القشر وعادة الفقار من الحيوانات ويتسلق بها فيجعلها تنقله وحلواه . وطائر البجع الذي يظهر بانه اعسر يتوكأ على رجل واحدة في الحقائق وانه لا حراك فيه، وهو على العكس طائر رحالة بفضل مارزق من الاجنحة الواسعة التي تكون له بمثابة شراع لانظيره يستخدمه في تنقله على البحيرات والانهار حيث ينزل ويقف من جنوبي اوربا والهند والصين واميركا واوراليا . وتمتاز بعض الطيور بنشاطها على

العمل بان تخذ لها صناعات مرتبة فالعصفور الدوري الذي كثر اسماءه بحسب البلاد هو في الواقع ونفس الامر عامل لا يتعب ذو امانة للغاية فيسميه الاسبانيون وهو سيف مائلة عند ما يكون جاز اليها من جبل طارق تحت الحجر مشبهين له في الصناعة بالبناء لانه يبني عشه ورائده العلم الثام في الهندسة ومن انواعه كثير في فرنسا وانكلترا وجنوبي اوربا تختار لوكشاتها ثقب اشجار الصنوبر وتبدع في هندستها واحسان بنائها بالاججار والملاط فالعصفور في جبل طارق صغير الجرم كالشحرور يستعمل قوادمه ومنقاره لجمع الحجارة والحصى وينقلها الى المحل الذي وقع عليه اختياره ويركها بعضها فوق بعض محكما لها طبقة فوق اخرى ويجعل للعش حاجزا طوله عشرين سنتيمترا وعمقه كذلك وطوله من ٦ الى ٧ سنتيمترات وهو يستعمل له نحو ٢٨٠ حجرا ماعدا ٧٠ الى ٧٥ حجرا للتأسيس ويبلغ عدد الاججار ٣٥٠ ومنها ما وزنه ٦٠ غراما وعجيب منه كيف ينشط لحل مثل هذا الثقل والمسافة التي ينقل منها الحجر لعشه ليست بقصيرة .

ومن انواع العصافير ما يألّف البلاد الجبلية وهو ايضا يختط لعشه في الجدر والاججار والاشجار خططا عجيبة ويبالغ في هندسته وتقسيمه وكذلك الحال في الخفاف الذي يشبه السنونو فيكل عمله وبدلا من ثقب بسيط يخزاه في اعلى العش للدخول بقم نوعا من الطريق مغلى في اسفل الجدار . ومن الطيور ما لا يحدق ابتداء الوركات ومع هذا لا تلقي صفارها على حصا تختاره لذلك . واعجب ما في هذه الطيور البناء كلها فطرة الذكاء التي تنودها الى اختيار ادوات البناء . فالسنونو مثلا تعرف كل المعرفة تمييز نوع الملاط الذي تجمع فيه بين اجزاء ماتت من البناء من الداخل والخارج وذلك بمفرزاتها الزجة التي هي من خصائصها الطبيعية وهذه المفرزات يستخدمها بعض الطيور ملاطاً لوكشاتها ايضا . وان الطير المعروف ببناء البيوت ليصنع عشه من الطين والقش حتى ان اهل المكسيك منه تعلموا طرقهم في البناء .

ومن الطيور النجار كما فيها البناء وذلك كالطائر المعروف بالنقار الذي يعيش في الاشجار يتسلق عليها بمخالبه فينقر بمنقار لحاء الشجرة ليفرغ منها الحوام التي يعيش بها فهو عامل غريب يجمع عشه بصبر مدهش ويخزاه في بعض الجذوع على ثلاثة امتار من وجه الارض ويخال في اجادة محله مائثا وشامت الاجادة الغريزية على نحو ما نشاهد ججورا فجرتها هذه الطيور كنقار الخشب والسرود في غابات انكلترا ثم تتركها الى محل آخر لا تصل اليه اليد

ومن الطيور ما ينقي الزرع كالقصير الرجلين Vanneau يخدم الحدائق كما يخدمها صاحبها والمتعهد لها فهو وان كان يعيش على شواطئ مجاري الانهار ولا سيما البطائح الا انه ينقي الزهور والبذور التي يترك وشأنه ليسرح بينها وليس اجمل من هيئته وهو يتقز ويمر مسرعاً جائياً ذاهباً وجسمه مائل الى الامام وقنبرته منتصبه وريشه مشرق ظاهره سماوي وباطنه ابيض وعينه منتبهة لا يغفل دودة ولا حلزوناً الا ويعزها عن الزرع بوجودان سليم.

واعجب من هذا وذاك حال الطير المسمى الشرطي Policier وهو يكثر في اواسط اوربا يقف على الاسلاك البرقية على مساوف بعيدة يرصد الاعداد وهو اسود وله عصاة برتقالية في رأسه يقتات بالديدان ويخافه النسر والباشق والبازي وقد سمي الظالم لانه اذا اختلط بطيور اخرى تسلط عليها واذا لم يجد اسلاكاً ينزل على بعض العمود او على غصن شجرة واذا كان سيفه السهل ينزل على ظهر بقرة ويعيش من الصيد ولا يهاب ما كان اكبر منه من الحيوانات بل يستخدم مثقاره ومخالبه فيدمي بها ويقتنص وهو بذلك بتحاماه الكوامر وغيرها ولا يقرب من وكناته احد منها واشتهر بالشجاعة بين الطيور حتى انها لتهابه في وكناتها وتحب له الف حساب ولذلك كتبت له السعادة وهو من بين شذاذ الآفاق من الموام والطيور والكوامر حامي القانون والمسيطر الاعظم .

التحصيل في اوربا

بلغ عدد من يخصصون في العلوم في مدارس اوربا خمسة عشر طالباً من اهل دمشق فقط عدداً من ارسلتهم الحكومة على نفقتهم منهم اربعة في الطب والجراحة واثنان في طب الاسنان واثنان في الحقوق واثنان في الزراعة وواحد في الهندسة وآخر في هندسة الكهرباء وواحد في علم التربة والتعليم واثنان يستعدان في العلم الآن

الرئيس البرتقالي

ان الرئيس البرتقالي الجديد تيوفيل براغا هو كاكثرو رؤساء الجمهوريات عالم كبير فان فاخرت فرنسا برئيس جمهوريتها الاول تيرس وفاخرت الولايات المتحدة باحد رؤساء جمهوريتها روزفلت فيجئ للبرتقال ان تفاخر برئيسها براغا فهو من اكبر كتابها المعاصرين وهو في السابعة والثلاثين من عمره اشتهر امره منذ خمسين سنة وهو شاعر فيلسوف نقاد فقيه اولى بلاده نخراً لا يلى بما نشره لها من تاريخ آداب البرتقال الذي

كتبه في عشرينين مثالية ومن كتبه روح الحق المدني الحديث وهو زعيم القائلين بالفلسفة الحسية في برثقال كما ان بيلامين كونستان زعيمها في برازيل وهذه الفلسفة هي التي وضع اساسها اوغست كونت الفيلسوف الفرنسي وما يرح براغا يحف حوالى متبره في لشبونة اناس من الناشئة الجديدة يوحى اليهم آماله الديمقراطية وروحه الوطنية فلا عجب اذا وقع اختيار امته عليه لبراسها .

اللب والترية

كتب احد علماء التربية من الالمان مقالة طلب فيها الى دور التعليم ان تخصص وقت بعد الظهر من كل يوم بالالعاب المختلفة تكره عليها الاولاد واثبتوا اكثر مما تكرههم على تعلم دروسهم واستشهد بقول الامبراطور منذ مدة « انني ابحت عن جنود فاجتانا ماسة الى جيل قوي من الناس » فالجناسيتيك البسيط لا يقوم بهذا الغرض بل الواجب المشي الكثير الطويل لا الاكتفاء بالعباد عادية يقوم بها الاولاد والشبان عرضا بل العباد حقيقية علمية مثل التزحلق (باتيناج) والعموم وغير ذلك . العباد بناظرها مدير خبير يستثمر النشاط ويحسن الانتفاع بمرونة الجسد ويقوي بالعمل والعادة اليومية احسن قوى النفس والعقل مثل الصبر والحرية والارادة وعمل مثل هذا المدير لا يقل في الفضل عن عمل زملائه اساتذة العلوم واللغات والتاريخ فهو يعمل على تربية الشبية على شرط ان يعطي الوقت اللازم لذلك وهو يذرع الالعاب بحسب الفصول حتى لا يهلك القوى في الحر كما يعاملها به في البرد

فقر يابان وغناها

ذهب بعض الاميركيين الى ان يابان افقر بلاد في العالم فاثبت ذلك الاستاذ كامب من كلية كيوتو بالاحصاء الدقيق قابل فيه بين غنى اليابان وغنى غيرها من الام فقال اذا كانت يابان تملك مثلاً ١٠٠ يان (معاملة يابانية نحو فرنك) فان المانيا تملك ٦٨٣ ياناً وفرنسا ٧٤٣ ياناً وانكلترا ١٠٠٨ يانات فالمدخل الشخصي اذا سرنا على هذا النحو هو ١٠ يانات في اليابان و ٤١ في المانيا و ٥٢ في فرنسا و ٦٠ في انكلترا و ٧٣ في الولايات المتحدة . والدين الذي على بلاد يابان ثقيل تنوء تحته فهو نحو ٢٣ ياناً في المئة ومع هذا فان يابان لا يخشى عليها الفقر المدقع والخراب العاجل بالديون لان الفرد منهم يعرف كيف يصرف في سبيل سداد عوض حكومته فيقطع من اكله ويقتصد من

رفاهيته بسائق وطنيته ليعطي حكومته مانتنهض به من المال . والاقتصاد في المعاش من خصائص هذه الامة

اوهام السن

من الشائع على اللسان ان من تجاوز الخمسين يؤذن نشاطه العقلي والطبيعي بالضعف على ان الحوادث تثبت نقيض ذلك فان الحياة العلمية والسياسية والادبية منحصة كثيراً في السن التي يرميها الناس بالعم ولطالما اورد بعضهم ادلة على رقيهم العقلي ونشاطهم فان شهرة لوراستراكونا في عالم السياسة ابتدأت لما كان عمره خمسا وسبعين سنة وهو اليوم في سن التسعين يعمل منذ الساعة العاشرة قبل الظهر ويحضر الولايم الرسمية ثلاث مرات في الاسبوع . وكان عمر ويليام مورغان ٦٥ سنة لما كتب قصصه الاولى وكان عمر بيرون مورغان المثري الاميركي نحو ذلك عند ما وضع خطته في الاثراء . ومنذ خمسين سنة كانوا ينظرون الى ابن الخامسة والاربعين في بلاد الغرب بانه شيخ اما اليوم فلويد جورج السياسي الانكليزي قد بلغ السابعة والاربعين ولا يزال يعد في الشبان وقد بدأ السير هيرام ماكسيم في سن السبعين يعمل عملا جديداً كل يوم . ولما وصل فرنكلين الى باريز سفيراً من قبل حكومة الولايات المتحدة كان عمره احدى وسبعين سنة وبدأ فيكتور هوغو بكتابه تاريخ جنابة في الثانية والسبعين من سنه اما الفيلسوف هيريت سبتمبر فقد اتم اعماله في الرابعة والثمانين من عمره وعلى كل فالنشاط ميسور لكل من جادت صحته وصحت عزمه على العمل شاباً كان او كهلاً او شيخاً ولا يزال المرء في هذه الدار يتعلم حتى يموت . والترتيب في الحياة هو سر اقتدار هؤلاء المعمرين على العمل الى الابد

اصلاح خطأ

سها عن باننا ان نقول في الجزء الماضي عند انشاء مقالة جمهورية البرنقال انها ثالث جمهورية في قارة اوربا فان الاولى فرنسا والثانية سويسرا والثالثة تلك الجمهورية الجديدة وجا، في الكلام على « روضة العقلاء » في هذا الجزء ان صاحب كشف الظنون لم يذكره بلى ان ذكره بقوله « روضة العقلاء » لابن ابي حيان في الاحاديث وفي هذا خطأ في اسم المؤلف وهو حبان بالباء لا بالياء . وفي قوله ان الكتاب في الحديث وهو في الاخلاق